الفصل الرابع:
المبحث الأول: نظام الإدارة.

تطورت المدن واتسعت منذ العصر الشبيه بالكتابي وأصبحت مدناً كبيرة في عصر فجر السلالات ومركزاً لحكم سلالات حاكمة وأحيط الكثير منها بأسوار دفاعية تحميها جيوش منظمة وازدهرت فيها الزراعة واتسعت التجارة الخارجية وأنشئت فيها أنظمة الري وأزداد الإنتاج وتنوع[1].

وقبل الحديث عن النظام الإداري في عصر فجر السلالات, نتحدث عن أسباب تطور الحضارة وازدهارها وما هي العوامل التي أدت إلى ذلك, ومما يقال في ذلك على وجه العموم إن نشوء الحضارة في بلاد الرافدين قد حدث نتيجة التفاعل بين الإنسان والبيئة الطبيعية المحيطة به أي انه الصراع بين الإنسان وبيئته التي تفرض عليه تحدٍ لحل القضايا والمشاكل التي تعيقه ويكون نوع الاستجابة التي تصدر عنه والوسائل التي يتبعها للتغلب على مشاكل البيئة والسيطرة عليها واستغلالها واستعداده الدائم لذلك يؤدي إلى تطور الحضارة[2]. والسبب الأخر يعود إلى ما يتطلب ذلك من تنظيم شؤون الري والإدارة والتجارة التي كانت العامل الأخر لازدهار حضارة وادي الرافدين[3].
ومما لاشك فيه إن تنظيم العمل والجهود أبان نمو الحضارات يتطلب إدارة وقيادة فكان أحزم الأفراد وأبرزهم من حيث القوة والقابليات أول الحكام عندما نشأت فيها أولى أنظمة الحكم وإن معرفتنا الكاملة بنظام الحكم في بلاد الرافدين تبدأ منذ عصور فجر السلالات ولكن من المؤكد إن جذور هذا النظام تمتد إلى العصور ا لتي سميناها عصور ما قبل التاريخ لكي تكون بهذا النضج السياسي في عصور فجر السلالات[4].
وهناك من الدلائل التي تشير إلى إن حكام حكموا في دويلات صغيرة منذ نهاية عصر العبيد ولكن لعدم وجود السجلات

---

[1] كريمر, صموئيل نوح. 1973, ص, 99.
[2] العلي, صالح أحمد. محاضرات في تاريخ العرب, ج1, ط1, بغداد, 1955, ص, 80 – 81.
[3] برستد, جيمس هنري. انتصار الحضارات, ترجمة: أحمد فخري, القاهرة, 1962, ص, 158.
[4] علي, فاضل عبد الواحد, و سليمان, عامر. عادات وتقاليد الشعوب القديمة, بغداد, 1979, ص, 44.

والوثـائق المدونـة لا نعـرف عنهم إلا صـدى تركـوه في العصـور التاريخية, ففي جانب من موقع تل الصـوان جنـوب سـامراء عـثر على مبنىً واسعاً, ربما كانت ذات صفة عامة أو دينية[1].

أما عن عصر فجر السلالات فإن أهم ما يميز هـذا العصـر من الناحية السياسية هو تجزئة بلاد الرافدين إلى دويلات مستقلة بعضها عن بعض وكانت في حالة صراعات مستمرة[2].
فقـد ورد في جـداول الملـوك السـومرية تعـاقب إحـدى عشـرة سـلالة على حكم البلاد بعـد سـلالة أور الأولى حـتى قيـام الدولـة الأكدية إلا أن الـدلائل الأثريـة وبعض النصـوص المسـمارية تشـير إلى تعاقب كلي أو جزئي بين هذه السلالات[3].
ويعزى ذلك التقسيم إلى طبيعة البلاد الجغرافية ووفرة مياهها واتساع أراضيها الزراعية الخصبة وكثرة أهوارها ومسـتنقعاتها قـد دفعت إلى قيــام أكــثر من إدارة مركزيـــة واحــدة في المنطقــة وكـانت كـل دويلـة مدينـة تتـألف أساسـاً من المدينـة المركزيـة والأراضي المحيطة بها من قرى وأرياف وقد تتكون دويلة المدينة من أكـثر من مدينـة واحـدة حيث تجتمـع اثنتـان أو ثلاث وتعـود سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على المدينة المركزية, وتكـون لكـل دويلـة مدينـة نظمهـا الخاصـة بهـا ومسـتقلة من جميـع النـواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة ولهـا قوانينهـا الخاصـة وإلههـا الحـامي الخـاص بهـا, ومكتفيـة ذاتيـاً بمـا لـديها من مـوارد مائيـة وأراضي زراعية[4].
أما عن السلطة السياسية والإدارية فإنه من المـرجح إنهـا كـانت بأيـدي المواطـنين الأحـرار الـذين يكونـون مجلس المدينـة, وفي المدينـــة مجلســـان همـــا مجلس الشـــباب (المحـــاربين) ومجلس الشـــيوخ[5]. ونجـــــد ذلـــــك واضـــــحاً في القصـــــة الســـــومرية (جلجامش وأجا) والتي تتألف من (115) سطر, وتعدّ مهمة نظراً

---

[5][1] باقر, طـه. 1986, ص, 217 – 218.؛ وكـذلك ينظـر: الأحمـد, سـامي سـعيد. نظـام الإدارة والحكم, حضـارة العـراق, ج1,ـ 1985, ص, 7.؛ فرانكفورت, هنري, وآخرون. 1960, ص, 220.

[1][2] الطعان, عبد الرضا. الفكر السياسي في العراق القديم, بغـداد, 1981, ص, 94.

[2][3] بوتيرو, جين, وآخرون. 1986, ص, 68.؛ وكذلك ينظر: سليمان, عـامر, والفتيان, أحمد مالك. محاضرات في التاريخ القديم, الموصل, 1978, ص, 76 – 78.

[3][4] فرانكفورت, هنري. 1960, ص, 221.

[4][5] رو, جورج. 1986, ص, 189.

للمعلومات التي تحتويها عن طبيعـة الهيـأة التشـريعية في دويلـة المدينة وعن طبيعة الصراع بين هذه الدويلات[1].

ومن دراسة المعتقدات الدينية لدى سكان بلاد الرافـدين القـدماء يمكن الاستنتاج إن أول الحكام كانوا من طبقة الكهنـة وذلـك لأن سكان بلاد الرافدين القـدماء كـانوا يعتقـدون بـأنهم مـا خلقـوا إلا لخدمة الآلهة وطاعتها والامتثـال لأوامرهـا وإن المدينـة ومـا فيهـا من أراضي وموارد طبيعية ما هي إلا ملك للإلهـة قبـل كـل شـئ, وكان في خدمتها مجموعة خاصة تعـرف بطبقـة الكهنـة والكـاهن الأعظم يطلق علية تسمية (en) بمعـنى السـيد الكهنـوتي, وممـا يؤيد هذا الرأي أن أول الحكام المـذكورين في النصـوص كـانوا لا يزالـون يعيشـون في جنـاح خـاص ملاصـق لبنايـة المعبـد يسـمى (أكيبارأوكيبار), وما يؤكـد ذلـك أيضـاً إن الملـوك والحكـام الـذين تعاقبوا على الحكم في العصور اللاحقة كانوا لا يزالون يحتفظـون بصفتهم الدينية كوسـطاء بين الآلهـة والنـاس وممثلين عن الآلهـة على الأرض ويلعبون دوراً بارزاً في احتفالات رأس السنة وتقاليـد الزواج المقدس ويقومون بتمثيل الآلهة فيها[2]. وخير مثال على ذلك (en) (جلجامش), ومنذ عصر فجر السلالات حدث انقسام بين أعمال (en) الكهنوتية والدنيويـة وأقـام في قصـر خـاص بـه, ومـا لبث أن أصـبح لـه حاشـية كبـيرة شـملت الكتبـة والطبـاخين والسـقاة والحرفيين والموسيقيين وغيرهم من أصناف حاشية البلاط المعتادة[3] وقـد ظهـر اللقب(en) أول مـرة في النصـوص المسـمارية المكتشفة في مدينة الوركاء الطبقـة الرابعة[4]. وتعـني (en) السـيد وتقابلها بالأكديـة (belum) الـتي تسـتعمل للدلالـة على الآلهـة والبشر على حد سواء[5]. كما إن (en) ترادف بالأكدية (enum) والتي تعني الكاهن الأعلى أو الكاهنة[6].

---

[1] Jacobsen, TH., Primitive democracy in ancient Mesopotamia, JNES, Vol. 11, 1943, p. 166.

وعن عن قصة جلجامش وأجا ينظر:

Kramer, S.N., Gilgamesh and Agga, AJA, Vol. LIII, 1949, p. 1 ff.

[2] Mallowan, M., Mesopotamia and Iran, London, 1965, p. 44.

[3] [2] ساكز, هاري. 1979, ص, 57.

[4] Hallo, W.W., Early Mesopotamia Royal Titles, EMRT, New Haven, 1957, p. 9.

[5] CAD, belum, pp. 192 – 194.

[6] CAD, enum, p. 177.

وعلى هذا الأساس فإن هذه العلامة تمثل الحاكم الديني وهذا يعني إن اللقب (en) كان لقباً دينياً صرفاً يشير إلى إن حامله كان حاكماً مطلقاً لا ينافسه في الحكم أحد ويكاد أن يكون من مصاف الآلهة, ومن الأدلة الكثيرة على ذلك أسم إله الهواء إنليل (en- lil) وإله الأرض إنكي (en- ki), ومن ذلك نجد إن اللقب (en) يمثل المقطع الأول من كلا الإلهين وهذا يشير إلى مكانة الإلهين إنكي وإنليل بالنسبة للأرض بدرجة مماثلة لدرجة en)) ضمن السلالة التي يحكمها[1].

وفي الوركاء فإن الحاكم فيها كان (en) أي السيد الكهنوتي المختار من قبل الإلهة إنانا والممثل لها على الأرض وذلك لإضفاء قدسية وشرعية لحكمه ويكون الكاهن الأعلى في المعبد[2].

وإن استعمال لقب (en) كلقباً ملكياً كان مقتصراً على مدينة الوركاء وهو أحد أقدم الألقاب الملكية المستعملة للدلالة على الحكام في المجتمع السومري, فقد عرف كل من (أنميركار ولوكَال بندا وجلجامش) بأنهم (en) (en- kul- al) و(en- kul-ab) وهي أحد أقسام مدينة الوركاء ولقب مؤسس سلالة الوركاء الأولى (سيد معبد الإلهة إنانا) كما جاء في جداول الملوك السومرية[3]. فضلاً عن ذلك فإن (لوكَال كنجينشيدود) الذي حكم في حدود (2400) ق.م قد مارس الأمارة على الوركاء والملوكية على أور, مما يدل على أن لقب (en) في الوركاء يوازي (lugal) في المنزلة في المدن الأخرى[4].

نستدل مما تقدم إن لقب (en) الذي يشمل السلطة الدينية والدنيوية يمثل في جوهره لقبي (ensiوlugal) وإن هذا اللقب كان من أرفع الألقاب الملكية عبر أدوار التاريخ السياسي للعراق القديم[5].

أما اللقب الثاني فهو (ensi pa-ti-si-), وهو أحد الألقاب التي أتخذها حكام بلاد الرافدين وتعني (الحاكم المحلي) لدويلة المدينة وترادفها في الأكدية كلمة

---

61 رشيد, فوزي. السياسة والدين في العراق القديم, بغداد, 1983, ص, 10.

2 Postgate, J.N., Royal Ideology and state administration in Sumer and Akkad, civilization of the near east, New York, 2000, Vol. 1, p. 396.

83 بوتيرو, جين.وآخرون. 1986, ص, 82.

94 المصدر السابق. ص, 82 – 83.

5 Hallo, w.w., 1957, p. 9.

(isakku)[1]. حيث انه لم يعد في بداية عصر فجر السلالات الأول (en) هو الحاكم الحقيقي في المدينة كما توضح ذلك نصوص مدينة (لجش), بل أصبح الحاكم موظف يسمى (ensi) الذي يُعنى أصلاً بالعمليات الزراعية, والذي يعلل وصوله إلى الحكم بسبب رضا الآلهة عنه وإنها قد اختارته من بين الجموع البشرية لحكم البلاد وفوضته حتى لإصدار القوانين الخاصة بتنظيم حياتهم, ونجد ذلك في الإصلاحات والقوانين التي صدرت عن ملوك بلاد الرافدين وأمرائهم على مر العصور, وبذلك يكون الحاكم مسئولا أمام الآلهة عن تصرفاته وليس لأحد الحق في معارضته وبذلك يضفي شرعية وقدسية لحكمه, وان هؤلاء الحكام قد أسسوا سلالات حاكمة[2]. وإن هذا اللقب قد ساد في عدد من المدن ضمنها مدينة (لجش), وتكون سلطته سلطة دنيوية منفصلة عن سلطة المعبد الدينية[3].

وفي حدود 2400 ق.م لم يبقى حاكم واحد يحمل لقب (en) سواء كان على رأس مدينة قوية أو ضعيفة وبذلك فقد أصبح لقب (ensi) ذا مدلول سياسي أكثر مما هو مدلول ديني, وأول من أستخدم هذا اللقب من الحكام المستقلين هو (إيأناتم) حاكم مدينة (لجش)[4].

ويعتقد إن لقب (ensi) كان يدل على مرتبة أقل من ((lugal أو en)) وانه كان يمثل الأمير المستقل الذي يحكم دويلة المدينة وما يتبعها من أراضي محيطة ويدعم هذا الرأي ما جاء في نص (إيأناتم) حاكم (لجش) الذي يذكر أن الإلهة (إنانا) منحته فضلاً عن إمارة (لجش) ملوكية (كيش)[5]. وكذلك إن من المرجح إن لقب (ensi) كان يمثل رأس السلطة في دويلة المدينة وانه إذا ما اتسع في سيطرته واتسعت إلى خارج المدينة واعترف به معبد الإله(إنليل) في(نفر) أصبح يحمل لقباً أكثر إجلالاً وهو لقب (lugal)[6].

---

[1] CAD, isakku, p. 962.

[2] Henry, S. Lucas. A Short History of Civilization, London, 1943, p0, 60.

وكذلك ينظر: أوتس, جون.1978, ص, 38.

[3] Postgate, J.N., 2000, p. 396.

[5][4] الفتيان, أحمد مالك. نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث, رسالة دكتوراه غير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الآثار, 1991, ص, 100.

[6][5] بوتيرو, جين, وآخرون. 1986, ص, 82.

[7][6] رو, جورج. 1986, ص, 37.

و(lugal) هو اللقب الثالث الذي يـرجح انـه كـان في بـادئ الأمـر يطلق على حامله عندما تتطلب الحالة اتخاذ قرارات حيويـة ومن تلـك الحـالات : الهجـوم على المدينـة من الخـارج فكـان على المجلسين أن يختارا قائداً حربياً أو ملكاً, وذلك لما زاد النزاع بين دويلات المدن واشتدت الضغوط على بلاد سومر, وبذلك أصبحت القيادة الإدارية والسياسية أمراً ضرورياً وأصبح الملك يحتل مكاناً رفيعاً وعلى الأرجح كان هذا الحال في بادئ الأمر[1]. أو يطلق هـذا اللقب على الحكـام المسـتقلين الـذين يحكمـون أكـثر من دويلـة مدينة وبعد أن يعـترف بهم معبـد الإلـه (إنليـل) في (نفـر) ولكن الملوكية (nam- lugal) بكل امتيازاتها وحقوقها أصـبحت مؤسسة وراثية[2].

و(Lugal) تعني حرفياً (الرجل العظيم) ويرادفها باللغـة الأكديـة كلمة (sarru)[3]. وأول إشارة إلى هـذا اللقب في الكتابـات المسـمارية تعود بتاريخها إلى فـترة نصـوص أور القديمـة وكـذلك ورد في نصوص فارة مرتبطاً بمدينـة أور مثلمـا ارتبـط اللقب (en) بمدينة الوركاء, وكان الملـك يقيم في قصـر خـاص به [4]. وبـذلك أصبح الملك يمثل دور القاضي والمنصف في المظالم وتولى دوراً آخر هو الدور الديني في المناسبات الدينية من اجل إحلال الخصـب والحصـاد الوفير للمدينة [5]. ومما هو معروف إن الملوكية من النظم السياسية في بلاد الرافدين ويعتقد سكانه أنها هبطت من السـماء, حيث كـانت شاراتها محفوظة لدى الآلهة حتى قبل نشوء الأنظمـة السياسـية ويمكن ملاحظة ذلك في ملحمة (إيتانا) الخاصة بصعود الإنسان إلى السـماء لمقابلـة الآلهة [6]. وحسـب مـا جـاء في جـداول الملـوك السومرية فإن مدينة (كيش) هي أول مدينة نزلت فيهـا الملوكيـة بعد الطوفان, لذلك احترمها السومريون وصار اتخـاذ لقب (ملـك كيش) مبعث احترام ورمزاً إلى سلطة شاملة[7].

وكـــل هـــذا يشـــير إلى إنهـــاء النظـــام الـــذي يصـــطلح عليـــه (الديمقراطيـة البدائيـة), وحلـول الحكم الفـردي محـل سـلطة

---

[1] كريمر, صموئيل نوح. 1973, ص, 100.

[2] رو, جورج. 1986, ص, 189.

[3] CAD. Sarru, p. 1188.

[4] Oates, J., Babylon, London, 1979, p. 20.

[5] Diakanoff, I.W., Early Antiquity, Chicago, 1991, p. 77.

[6] ساكز, هاري. 1979, ص, 413.؛ وحول الأسطورة ينظر:
باقر, طه. مقدمة في أدب وادي الرافدين, 1976, ص, 132 – 135.

[7] فرانكفورت, هنري. وآخرون. فجر الحضارة في الشـرق الأدنى القـديم, بيروت, 1959, ص, 64 – 69.

المجلسين (الشباب – المحاربين, الشيوخ) في المدينة وأصبحت سلطة الحاكم لا تعلوها سلطة أخرى[1].

أما عن أثر الأفكار الدينية والعقائدية في بلاد الرافدين في تطور الأحداث السياسية والإدارية فيمكن القول أن السومريين قد إعتقدوا أن المدينة بما فيها من بشر وحيوانات وأراضي كانت ملكاً للآلهة وبشكل خاص ملكاً لإلهها المحلي الرئيس, ويكون لكل دويلة مدينة إله خاص بها يعمل على حمايتها وتنصيب ملوكها, وبذلك يكون دور الفكر الديني القديم في بلاد الرافدين أحد الروافد التي ساهمت في تجزئة المنطقة وتقسيمها إلى دويلات مدن تتبع كل واحدة منها إلهاً خاصاً أكثر من مساهمته في عملية توحيد البلاد[2]. وهذا بدوره يشكل حافزاً لسكان دويلة المدينة إلى العمل المشترك لإرضاء الآلهة والأيمان بكلمتها التي لها الروحانية[3].
ويمكن تلمس ذلك من خلال الحروب التي جرت بين المدن والاعتقاد الذي كان سائداً بأن الآلهة هي التي تقود الحرب وتكسب النصر حسب ما ورد في أقدم الوثائق التاريخية وعن توقيع المعاهدات والتي كانت نصوصها تتضمن أسماء آلهة متحاربين, مثل اسم الإله ننكَرسو إله مدينة (لجش) والذي قاد المعركة وانتصر فيها على دويلة (أوما) وخلد ذلك في مسلة العقبان كما أطلق عليها الباحثون[4].
وقد شهد بداية عصر فجر السلالات صراعاً بين الملك والكهنة والأمثلة على ذلك متوفرة عن كهنة كان لهم نفوذ واسع مثل (دودو) كاهن مدينة (لجش) زمن حاكمها (أنتمينا) الذي كان بدوره في البداية كاهناً أعلى لإله المدينة[5]. بينما أضاف (إينتارزي) حاكم (لجش) جميع صلاحيات الكاهن الأعلى إلى وظائفه وقسم رئاسة مختلف معابد المدينة بين أفراد عائلته, ومرت أزمنة ازدادت فيها حدة المنافسة بين الحكام والكهنة حتى

---

[8][1] المصدر السابق. ص, 58.
[1][2] جايلد, كوردن. التطور الاجتماعي, ترجمة: لطفي فطيم, القاهرة, 1966, ص, 185.؛ وكذلك ينظر: توينبي, آرنولد. تاريخ البشرية, ترجمة: نقولا زيادة, بيروت, 1981, ص, 64.
[2][3] توينبي, آرنولد. 1981, ص, 64.
[3][4] جايلد, كوردن. ماذا حدث في التاريخ, ترجمة: جورج حداد, القاهرة, 1956, ص, 100.؛ وحول المسلة ينظر: الفصل الرابع, مبحث الجيش والسلاح.
[4][5] الأحمد, سامي سعيد. نظام الإدارة والحكم, حضارة العراق, ج1, بغداد, 1985, ص, 8.

وضـع (أوروانمكَينـا) حـداً لاسـتغلالهم ولكن هـذه الإصـلاحات لم تستمر طويلاً وذلك بسبب سـقوط (أوروانمكَينـا) على يـد حـاكم مدينة أوما (لوكَال زاكَيزي)[1].

ومن خلال كل ما تقدم نجد إن الألقـاب السياسـية الملكيـة الـتي كانت شائعة في عصر فجر السلالات تقدم لنـا صـورة عن شـكل النظــام السياســي والإداري وعلى وظــائف الملــوك والحكــام وأعمالهم ومن ذلك نجد إن هناك ثلاثـة ألقـاب هي (en) و(ensi) و (lugal)[2].

ومن الألقاب التي تطـورت من (lugal) هي ملـك أور (lugal – urima) وملـك البلاد (lugal – kalam-ma) وملـك كيش (lugal – kis) ومن الألقاب الملكية الأخرى ملك بلاد سومر وأكد (lugal ki – in - gi) وملك الجهات الأربعة (lugal an-ubda-limmu-ba)[3].

---

[1] نفس المصدر السابق.؛ حول الإصلاحات ينظر: الفصـل الرابـع, المبحث الثاني.؛ وحول لوكَال زاكَيزي ينظر: الفصل الثالث, المبحث الثاني.

[2] ساكز, هاري. 1979, ص, 273 – 274. وكذلك ينظر:
Sobloff, J.A., and Karlovsky, C.Gl., The Rise and fall of civilization, California, 1974, p. 274.

[3] Hallo, W.W., EMRT, 1957, p. 11.

المبحث الثاني: الإصلاحات الاجتماعية:

تعود أقدم الإصلاحات الاجتماعية المدونة حسب معرفتنا إلى (أوروانمكَينا)* الحاكم الثامن ضمن سلالة (لجش) وآخر حكامها[1]. حكم مدة 8 سنوات وتشير المصادر المسمارية إلى انه تولى الحكم بعد انقلاب قام به على الحاكم المسمى (لوكَالندا) و(أوروانمكينا) أصلاً من طبقة الكهنة إذ كان لقبه في بادئ الأمر (EN) ثم اتخذ في سنة حكمه الثانية لقب (LUGAL)[2]. قضى عليه حاكم مدينة (أوما) المسمى (لوكَال زاكَيزي)[3].

وصلت إلينا الإصلاحات مدونة بالخط المسماري وباللغة السومرية على ثلاثة مخاريط فخارية وعلى لوح فخاري بيضوي الشكل اكتشفت في مدينة (لجش) وذلك في عام (1878) م, وقام بدراستها الباحث (ثورودانكَان)[4]. وقد ورد ذكر هذه الإصلاحات في أحد الألواح التي تعود إلى (أوروانمكينا) بمناسبة فتح قناة جديدة[5].

ويعد (اوروانمكَينا) حالياً أقدم مؤرخ في التاريخ[6]. وقبل البدا بذكر الإصلاحات علينا معرفة الأوضاع السياسة والاقتصادية للمدينة, ومن متابعة تاريخ (لجش) وسلالتها الحاكمة في أواسط الألف الثالث ق.م, والتي تتضح من خلالها الأسباب التي دفعت (أوروانمكَينا) إلى إصدار إصلاحاته, ومن خلال المعلومات المتوفرة التي تشير إلى إن دويلة مدينة (لجش) كانت تتمتع في عهد مؤسسها وحكامها الأوائل بازدهار اقتصادي وقوة عسكرية فاقت قوة الدويلات المجاورة, فدخل ملوكها الحروب مع الدويلات المجاورة ولا سيما دويلة (أوما) وحققوا خلالها العديد من الانتصارات, وكان من نتائج تلك الانتصارات أن تدفقت على البلاد الكثير من الغنائم واتسعت مساحة الأراضي الزراعية ومواردها الاقتصادية الأخرى فعم الرخاء

---

1 Cottrell, L., The Land of the two Rivers, America, 1962, p. 56.

2 باقر, طه. 1986, ص, 321.؛ وكذلك ينظر: رشيد, فوزي. الشرائع العراقية القديمة, بغداد, 1979, ص, 11.

3 Cottrell, L., 1962, p. 56.

4 كريمر, صموئيل نوح. من ألواح سومر, ترجمة: طه باقر, بغداد, 1957, ص, 63.

5 Kramer, S.N., History begins at Sumer, London, 1961, p. 89.

6 Cottrell, L., 1962, p. 56.

وارتفع مستوى المعيشة ولا سيما بالنسبة للطبقة الحاكمة [1].
وإلى هذه الفترة تعود معاهدة الصلح بين (أوما ولجش) بوساطة حاكم كيش (ميسالم) والتي تعدّ أقدم معاهدة في التاريخ, ولكن ما لبث حتى دب الضعف في البلاد وتقلصت العسكرية وانقطعت مواردها الاقتصادية فما كان على الأسرة الحاكمة إلا أن تفرض الضرائب على أفراد المجتمع في دويلة المدينة ويبتزوا الأموال منهم بشتى الطرق لكي يتمكنوا من إيجاد مورد جديد لهم يحافظوا من خلاله على المستوى المعاشي المرتفع الذي اعتادوا عليه في عهد قوتهم وانتصاراتهم[2]. فدب الفساد في البلاد وعمت الفوضى ولم يكتفي الحكام والمتنفذون مما كانوا يجمعونه من ضرائب بل استولوا على أملاك المعبد واستغلوا أراضيه وحقوله واستثمروا موارده وسيطروا على إدارة شؤونه وأصبح المعبد تابعاً للأسرة الحاكمة بعد أن كان مسيطراً عليها وموجهاً لسياستها, ثم جاء (أوروانمكَينا) الذي يخاف الآلهة ويحترم أملاكها والذي كان يعتمد على مساندة رجال الدين لأنه على الأرجح كان واحداً منهم, فقام بإصدار إصلاحاته الجذرية وأعاد للمعبد أملاكه وسلطته حتى على الأسرة الحاكمة[3]. وبذلك نجد انه بسبب تلك الظروف الصعبة يتصدى (أوروانمكَينا) لذلك الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتردي ويضع حداً لإنهائه عندما عمد إلى إصدار إصلاحاته التي استطاع من خلالها أن يعيد الأوضاع إلى سابق عهدها[4].
وقد وجهت تلك الإصلاحات بشكل أساسي ومباشر ضد الضرائب وسوء المعاملة والإيذاء من قبل ممارسي السلطة السياسية وتابعيهم أي (القصر وحاشيته) وعلى الاستيلاء على ممتلكات المعبد[5].
وتذكر الإصلاحات كيف إن مواطني (لجش) سقطوا ضحايا لطمع موظفي مدينتهم, وكيف إن الضرائب كانت تجبى على القوارب وصيادي السمك وعلى المواشي وحتى في الطلاق فكان عليه أن يدفع (5 شيقل فضة إلى الحاكم, 5 شيقل فضة إلى مدير القصر), وكيف أن أفضل أراضي المعبد استولى عليها

---

[1] ساكز, هاري. 1979, ص, 66.
[2] سليمان, عامر. القانون في العراق القديم, بغداد, 1987, ص, 143.
[3] سليمان, عامر. العراق في التاريخ القديم, الموصل, 1993, ص, 193.
[4] الراوي, فاروق. اقتصاد المدينة العراقية القديمة, المدينة والحياة المدنية, ج1, بغداد, 1988, ص, 244.
[5] بوتيرو, جين وآخرون, 1986, ص, 92. ؛ وكذلك ينظر:
Kramer, S.N., 1961, p. 89.

واختيرت أفضل الثيران للعمل فيها وزرعت فيها البصل والخيار لمصلحتهم, وتذكر الإصلاحات كيف إن الضرائب وصلت إلى الدفن إذ كان موظفي الضرائب يستخلصون كميات كبيرة من أهل الميت مما اضطر أهل الفقراء إلى رمي جثث أبنائهم في النهر[1].

فعمد (أوروانمكينا) إلى القضاء على تلك المظاهر السلبية وأصدر إصلاحاته وعمل على إعادة أراضي الإله ننكرسو التي استغلها الحكام السابقون لمصلحتهم, وأهتم برفع القيود التي فرضت على الناس وحرر الكثير من أصحاب المهن من ضغط الأشراف عليهم ودفعهم الأجور بالفضة من السماكين والفلاحين والرعاة, كما قام بطرد المرتشين من الموظفين, وفرض عقوبات على السرقة والاغتصاب, كما منع الإكراه في البيع والشراء, وطهر القناة التي تربط (لجش) بمنطقة (نينا) حيث معبد الإلهة (نانشة)[2].

كما جاء في الإصلاحات منع استغلال الغني للفقير من قبل المتمكنين في بيع البيوت والأراضي والماشية ولا يتم ذلك إلا على وفق شروط مرضية كما جاء في الإصلاحات:

(إذا أراد وجيه (متنفذ) شراء حماراً أو بيت يعود إلى فقير فباستطاعة الفقير أن يطلب الثمن الذي يريده من الوجيه وعلى هذا أن يدفع الثمن بنقود معتمدة (فضة) ولا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يضطهد الفقير إذا رفض البيع)[3].

ومنع العرافين من أخذ الأموال من الناس وأن يكتفوا بما يحصلون عليه من المعبد وأصبحت الدولة هي التي تزود الموتى بالطعام والشراب في قبورهم[4].

كما شملت إصلاحات (أوروانمكَينا) طبقة العمال حيث ورد في الإصلاحات حالة البؤس والفقر بين طبقة العمال وكيف أنهم أصبحوا يشحذون قوتهم في حين كانت مخازن الحكام وقصورهم وبيوت حاشيتهم مليئة بالطعام وتفيض بالخيرات, ومن طبقة العمال طبقة العمال العميان والذين على ما يبدو أنهم كانوا يمثلون عدد غير قليل حيث ورد ذكرهم أكثر من مرة ومن تلك

---

[1] Finnegan, J., Light from the Ancient past, London, 1959, p. 44.

[2] Diakonoff, I.M., Some remarks on the reform of Uru – Kagina, RA, 52, 1958, p. 1 ff.

[3] باقر, طه. 1986, ص, 322.

[4] Diakonoff, RA, 1958, p. 3.

(إذا أراد تابع الملك أن يحفر بئراً في أعلى جزء من حقلـه, كـان يقبض على رجل أعمى ليقوم بحفره, وإذا احتـاج صـاحب الحقـل إزاحة الماء منـه كـان يقبض على رجـل أعمى ليقـوم بـذلك), إن هنـاك من يـرى إن هـؤلاء العمـال العميـان كـانوا من الأرقـاء أو أسرى الحروب الذين سملت عيونهم منعاً لهم من الهـرب, ولكن هذا التفسير لا يتطابق مع واقع العبيد في العراق القـديم وفائـدة هؤلاء العمال الاقتصـادية, ولعـل التفسـير الأكـثر قبـولاً يعـود إلى الأوضاع الاقتصـادية والاجتماعيـة المترديـة الـتي أدت إلى تفشـي الأمراض والأوبئة وانتشار الأوساخ والقاذورات الـتي كـانت سـبباً من أسباب انتشار العمى بين أفراد الطبقـة الفقـيرة من النـاس, وعمد (أوروانمكَينا) في إصـلاحاته إلى تخصـيص جرايـات دائمـة لهم ولمجموعـــة أخـــرى من الكهنـــة وأصـــحاب الحـــرف ورفـــع الضرائب عن قسم كبير منهم والتي كانت تفرض عليهم قبله من قبل الحكام والمتنفذين من حاشية القصرإذ ورد في الإصلاحات (وأينما يولي المرء وجهه من حدود ننكَرسو إلى تخوم البحـر وجـد جباة الضرائب)[1]. كما أصدر عفواً عاماً على المسجونين والموقـوفين بسـبب ديـونهم السـابقة أو بسـبب اسـتحقاقات الضـرائب عليهم إلى القصر, ومنع الرجم على السارق وكل هـذه كـانت تـرتكب في الأيـام الماضية قبل وصـول (أوروانمكَينـا) إلى الحكم, كمـا شـرعت بعض الإصلاحات القانونية الخاصة بالعائلـة, إذ أصـدر عفـواً على الضـرائب التي كانت تفـرض على الرجـل إذا طلـق زوجتـه[2]كمـا أصـدر قانونـاً أبطل فيه زواج المرأة من زوجين وربما يشير ذلك إلى بقايا عـادة قديمة وهي تعدد الأزواج والتي أصبحت عادة لا يقبلها الذوق آنذاك, وأدراج هذا التحريم يدل على أن هذه العادة كانت من العادات الكريهة في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين وأنها كانت محدودة, ولذلك لا بد أن يكون موطنها غير القسم المـذكور وأنهـا جـاءت من مكـان آخر[3].

كما قام بإعادة بناء معابد الإله (ننكَرسو) وزوجته الإلهـة (بـآو)[4]. كما أعاد المعابد إلى سابق عهدها وأصبح الإلـه (ننكَرسـو) ملكـاً على بيوت الحكام وحقولهم, وزوجته الإلهة (بآو) ملكة على بيوت

---

[1] سليمان, عامر. 1988, ص, 144 – 145.؛ وكذلك ينظر:
Lambart, M., Les Reforms dʼUrukagina, RA, 50, 1956, p. 169 ff.

[2] Ibid.

[3] بوتيرو, جين وآخـرون. 1986, ص, 92.؛ وكـذلك ينظـر: رشـيد, فـوزي. ترجمات لنصوص سومرية ملكية, بغداد, 1988, ص, 119.

[4] King, L., A History Sumer and Akkad, London, 1919, p. 185.

حريم القصر وحقـولهن, والإلـه (شولشـا) ملكـا على بيـوت أطفـال القصر وحقـولهم, كمـا شـملت الإصـلاحات بعض أصـناف الكهنـة الذين تعرضوا للاضطهاد ومنحهم جرايات ثابتـة من الشـعير, كمـا منع المفوضون المسئولون عن جمع الضـرائب من أخـذ الضـريبة من مديري المعابد من الطبقة التي تسمى (سـانكًا) الـتي كـانت تؤخذ عادة على القصر[1].

و أتخذ (اوروانمكينا) في سنة حكمه الأخيرة لقبِ (ملك كَرسـو) ويبدو من خلال هذا اللقب أن الملك (لوكَـال زاكَـيزي) قـد تمكن من إخضاع جميع المدن السـومرية إلى سـيطرته وبعـد أن تم لـه ذلـك كـرّس جهـده للقضـاء على مدينـة (كَرسـو) وعلى ملكهـا (أوروانمكَينا)[2].

نستنتج مما تقدم أن إصلاحات (أوروانمكَينـا) تمثـل أقـدم نمـاذج الإصلاحات الاجتماعية المدونة التي وصلت إلينا والتي تهـدف إلى إصـلاح الأوضـاع الاجتماعيـة وتنظيم العلاقـات الـتي تربـط أفـراد المجتمع ومنع الاستغلال وسوء اسـتخدام الوظيفـة إلى غـير ذلـك من الإصلاحات الاجتماعية[3].

وتبرز أهمية الإصلاحات في كونها تنادي بحقـوق الإنسـان وحريتـه إذ أن كلمـة (AMA-AR-GI) قـد وردت لأول مـرة في هذه الإصلاحات التي هي في الوقت الحاضر أمنية جميـع شـعوب العالم[4]. كما أنها تشير إلى أهمية حصر الملكية في المعبد, وذلـك للتخفيف من استئثار مراكز القوى والنفوذ, ولـذلك فـإن سـيطرة المعبد في المرحلة التي تعالجها هذه الإصـلاحات كـانت ضـرورية ومهمة لأنه لا بديل غـير ذلـك يسـتطيع القيـام بـدور أساسـي في قيادة المجتمع والإشراف المباشر على مستلزمات الإنتاج[5].

---

[3] [1] رشيد, فوزي. 1979, ص, 207 .؛ وكذلك ينظر: كريمر, صـموئيل نـوح. 1973, ص, 455 – 459.

[4] [2] رشيد, فوزي. 1988, ص, 17.

[5] [3] سليمان, عامر. الحيـاة الاجتماعيـة والخـدمات في المـدن العراقيـة في الأزمنة التاريخية القديمة, المدينة والحياة المدنية, ج1, بغداد, 1988, ص, 184.

[6] [4] رشيد, فـوزي. 1979, ص, 14.؛ وكـذلك ينظـر: رشـيد, فـوزي. 1988, ص, 16.

[7] [5] رو, جورج. 1986, ص, 191.

المبحث الثالث: الديانة وأهم سماتها.

عند التطرق إلى الديانة فأول ما نتحدث عنه هي خصائص العقيدة الدينية, وما يتضمن ذلك من مفاهيم متعددة تمثلت بعقائد ما بعد الموت والثواب والعقاب ودور المعبد كمؤسسة دينية واقتصادية, وسنتناول أولاً خصائص أو سمات الديانة في بلاد الرافدين, والتي يمكن إيجازها بما يلي:

1. مبدأ الشرك (تعدد الآلهة):

ويعني ذلك أن سكان بلاد الرافدين لم يؤمنوا بوجود إله واحد هو الخالق والمسيطر على كل شئ, بل اعتقدوا وآمنوا بعدد كبير من الآلهة يصل إلى المئات بل الآلاف, بحيث أن هذه القوى الإلهية قد تمثلت بكل جزء من أجزاء الطبيعية[1].

ولذلك فقد كان مجمع الآلهة يضم عدداً كبيراً من الآلهة, ويعتقد أن هذه النظرة قد تطورت بعد تطور المدن في الألف الرابع ق.م في جنوب بلاد الرافدين, وبعد أن أصبحت الحياة أكثر تعقيداً فقد ظهرت حاجات إضافية, على ا لرغم من أن الخصوبة بقيت دائماً العنصر الرئيس إلا أن النظرة إلى القوة الخارقة قد تغيرت[2].

فقد قسموا الكون إلى أجزاء يحكم في كل جزء منه إله أو عدد من الآلهة, وكذلك خصصوا لشؤون الحياة المختلفة والظواهر الطبيعية آلهة تتحكم فيها وفي حدوثها, كما قام السومريون بتوزيعها بين عدد من الشخصيات التي تخيلوها بحسب نماذجهم البشرية وكانوا يجمعون بين هذه الشخصيات تحت تسمية واحدة هي إله أو كائن إلهي[3]. وكان لكل دويلة مدينة إله محلي رئيس ويكون الإله الحامي لها, ولكن يوجد في دولة المدينة فضلاً عن المعبد الرئيس لإله المدينة توجد هناك معابد أخرى لإلهة أخرى, كما في مدينة (لجش) حيث يوجد فيها أكثر من عشرين معبد خصصت لعبادة آلهة هذه المدينة, فضلاً عن عبادة آلهة رئيسة أخرى مثل (أنليل إله مدينة نفر, أوتو إله مدينة لارسا, إنكي إله مدينة أريدو), هذا فضلاً عن عبادة آلهة أخرى ولا سيما تلك التي

---

[1] Jacobsen, Th., Toward Image of Tammuz and other Essaya on Mesopotamia History and Culture, TITC, Cambridge, 1970, p. 12.

[2] Saggs, H.W., Babylonians, London, 1995, p. 36.

[3] بوتيرو, جين. بلاد الرافدين, الكتابة- العقل- الآلهة, ترجمة: الأب ألبير أيونا, مراجعة: وليد الجادر, بغداد, 1990, ص, 148.

تكون من عائلة إلهها الرئيسـي أو من بلاطه[1]. وكـذلك في مدينـة (أور) لم تقتصر العبادة فيها على إلهها المحلي (ننا- سـين) فقـد عبد فيها (أنليل, إنكي) وغيرهم, وينطبق هذا الحـال على المـدن الأخرى سواء في عصر فجر السلالات والعصور اللاحقة[2].

ولذلك فقد قسمت الآلهة على ثلاثة أصناف هي:

الصنف الأول: ويضم الآلهة العظـام الـتي عمت عبادتهـا جميـع بلاد سومر ولم تقتصر على دويلة مدينة, ويـأتي في مقدمـة هـذه الآلهة التثليث الإلهي (آن- أنليل- إنكي).

الصنف الثاني: ويضـم الآلهـة المحليـة, إذ اختصـت كـل مدينـة بأحد الآلهة يكون الإله الحامي لها مثـل الإلـه ننكَرسـو إلـه مدينـة لجش.

الصنف الثالث: يضم ما تسـمى بالآلهـة الشخصـية, مثـل الإلـه (شـولوتولا) الإلـه الشخصـي الـذي ورد ذكـره في كتابـات حاكمـا لجش إيأناتم وأنتمينا[3].

ب. مبدأ التشبيه:

وهو من المبادئ أو ا لخصـائص الأساسـية الـتي أتسـمت بهـا الديانة في بلاد الرافدين, وجوهر هذا المبـدأ هـو تمثيـل أو تشـبيه الآلهة بالبشر في شكله وملامحه الخارجية وفي تصرفاته وغرائزه المختلفـة, إلاّ أنـه يختلـف عن البشـر في مسـألتين همـا الخلـود والتمتـع بقـوى خارقـة عن الطبيعـة, ويمكن أن نتصـور ذلـك من خلال الملاحم والأسـاطير, إذ يظهـر فيهـا تشـخيص الآلهـة مثـل البشــر, أي أن القــوى البشــرية من الممكن أن تجســد القــوى الخارقة للطبيعة (الآلهة), كما أن الشكل البشـري يمكن اعتبـاره ممكناً وملائماً للإلوهية[4]. لذلك اعتبرت قوى الطبيعة كائنـات حيـة عاقلة أو شخصيات لها أرواح كتلك التي يتمتع بها الإنسـان, لـذلك فقد نسـبوا إليهـا الخصـائص والانفعـالات والنـوازع نفسـها فانهـا تحزن وتفرح وتأكل وتشرب وتكون أسرة وتعمل, كما تصوروا أن

---

[1] باقر, طه. 1986, ص, 335.

[2] Jean, G.F., La Religion Sumerienne, Paris, 1931, p. 30.

[3] باقر, طه. 1986, ص, 330- 334.

[4] لابات, رينيه. المعتقدات ا لدينية في بلاد وادي الرافـدين, ترجمـة: ألبـير أبونا, مراجعة: وليد الجادر, بغداد, 1988, ص, 151.

لها القدرة على السلوك والتصرف كما يسـلك البشـر, حـتى أنهم صوروا مجتمع الآلهة على أنـه نسـخة من المجتمـع الأرضـي بكـل طبقاته[1].

ولكن بالرغم من ذلك فأننا نجد في النصوص المسمارية ما يشير إلى تسامي الآلهـة وتفـوقهم وسـيطرتهم المطلقـة على البشـر , وذلك لقابليتهم الخارقة وعقلهم اللـذين يفوقـان مـا لـدى ا لبشـر وعن ذلك (أن أفكـار الآلهـة بعيـدة عنـا- بعـد أعمـاق الأرض عن السماء- يتعذر علينا إدراكه- ولا أحد يستطيع فهمهـا), وكـذلك مـا جاء في ملحمة جلجامش:

(حينما خلق الآلهة البشر- عينوا لهم الموت- أما الحيـاة (الـتي لا حد لها) فقد أخذوها لأنفسهم)[2].

ومن خلال ا لأعمال الفنية نستطيع تصور مبدأ التشبيه بين الآلهـة والبشـر ومن تلـك الأعمـال الفنيـة تلـك الـتي تعـود إلى الملـك (إيأناتم) حاكم (لجش) الـذي صـور انتصـاره على مدينـة (أومـا) في مسلة حجرية أطلق عليها الباحثون كما ذكرت سـابقاً تسـمية (مسلة العقبان), وتبدو فيها صـورة الإلـه (ننكَرسـو) إلـه مدينـة (لجش) هي المسيطرة على المشهد, فقد صور وهـو يحمـل في يـده اليمـنى صـولجاناً من الحجـر يوشـك أن يهـوي على رؤوس الأعداء وقد وقعـوا في شـبكة يمسـكها في يـده اليسـرى, شـكل (5 ب)[3].

ج. مبدأ الحيوية:

لقد كان ارتباط الديانة في بلاد الرافدين بالحيويـة وقواهـا يعتمـد عليها الإنسان حيث أنها تعد سـمة مهمـة من سـمات الديانـة في بلاد الرافدين, وتمثل رد الفعل البشـري لتجربـة القـوى الخارقـة, فكان ذلك أحد الأسباب الـتي أدت إلى الاعتقـاد بـأن النظـرة إلى الكون كانت سبباً في أيقاظ الشعور الديني, لأن التأمـل في هـذا المجال يجعل الجميع يشعر أنه محاط من كل جانب بقوة خارقة, قوة مستقلة عن إرادة البشر يخضع الجميع لتأثيرها ولا قدرة لهم

---

[3][1] أبو زيد, أحمد. تايلور, القاهرة, 1957, ص, 138.؛ وكذلك ينظر: كريمر, صموئيل نوح.
وكذلك ينظر:
Hiprecht, N.V., the Sumerian Hymns and prayers to god Nin- ib, Pennsylvania, 1911, p. 2.

[4][2] بوتيرو, جين. 1990, ص, 257.

[1][3] بارو, أندريه. 1977, ص, 186.

على تغيير مسارها أو تبديل نظامها[1]. لذلك فقد استحوذت هذه القوة الخارقة على الإنسان ففكر فيها ورغب بمعرفة مصدر هذه القوى, وأخذ يحاول بكل قواه أن يبدل هذا الشعور الغامض إلى فكرة واضحة ولكن بتصور محدود, وإن أي فكرة أو تصور يمكننا أن نحصل عليه بالتعبير عنه بواسطة ألفاظ, كل ذلك دفعه إلى أن يؤله قوى الطبيعة[2]. فقد وقف الإنسان أمام تلك الظواهر الطبيعية, وأراد أن يطلق عليها أسماء ولم يجد أي مانع في تسمية قوى الطبيعة مثل: (السماء, الشمس, القمر, النجوم....... الخ) وتسميتها بأسماء ملائمة لأفعال البشر, وقد أدى ذلك إلى أن تتشابه الحوادث بالأفعال البشرية, وتحويل مظاهر الطبيعة إلى أشخاص, ثم جعل لها أرواحاً ولكن هذه الأرواح مقدسة ولها كيانها وذاتيتها , وهي التي تقوم بالحوادث الكونية[3]. وترتب على ذلك عدّ كل مظهر من مظاهر الطبيعة كائنات حية كالإنسان والحيوان والنبات, أي أن الكون لا يبدو جامداً بل مليئاً بالحياة, ومعامله كل ظاهرة بشكل منفصل لتكشف عن الفردية والصفات والإرادة[4].

وتشغل فكرة الحيوية الأساس الذي يعتمد عليه في فلسفة الديانة وتفسيرها وتنقسم إلى قسمين:

الأول: يتعلق بأرواح الكائنات الفردية التي لها القدرة على الاستمرار في الوجود بعد الموت أو فناء الجسم.

الثاني: يتعلق ببقية الأرواح على اختلاف مراتبها بما فيه الآلهة[5].

مجلس الآلهة السومرية وأهم الآلهة فيه:

إن تجربة الإنسان مع الطبيعة ولدت حالة ذهنية جاء التعبير عنها بفكرة الكون الذي يضم كل ما في الوجود من الظواهر الطبيعية, الإنسان, الحيوان والنبات والجماد, وقد رأى في الكون نظاماً جامعاً لكل هذه الكيانات في صورة الأنظمة الاجتماعية كنظام العائلة والجماعة, وبتعبير آخر الدولة, الحال نفسه ينطبق على الآلهة التي صورها وهي لها النظم الاجتماعية نفسها وتتجمع

---

[2][1] عبد الله, دراز الدين. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان, بيروت, 1974, ص, 128.

[3][2] الهاشمي, طه ياسين. تاريخ الأديان وفلسفتها, بيروت, 1963, ص, 73.

[4][3] نفس المصدر السابق.؛ وكذلك ينظر: أبو زيد, أحمد. 1957, ص, 364.

[4] Durkheim, E., Elementary forms of Religion life, London, 1947, p. 3.

[6][5] أبو زيد, أحمد. 1957, ص, 163.

الآلهــة في مكــان يســمى (مجمــع الآلهــة), لتنظيم الكــون والسـيطرة عليـه, وهنـاك اختلاف في عـدد الآلهـة مـا بين مجمـع الآلهــة في الأســاطير وبين عــددها في قــوائم الآلهــة, ولا يمكن تفسير ذلك في التقليل من أهمية تلـك الآلهـة الـتي لم تـذكر في الأسـاطير, بـل يجعـل العكس في بعض الحـالات, ولكن الفـرق يكمن في اختلاف التصورات في مجالات الحياة اليوميـة والدينيـة وطريقة التفكير في القوى التي تقود عالم الإنسان والتي سميت بأسماء مختلفة وعدّت آلهة[1].

وتطلق كلمة (ukkin) في السـومرية و(puhrum) في الأكديـة, على مجلس الآلهة, وللدلالة على مجلس المدينة ومجلس القضاء وكذلك مجمع الأشباح[2].

ويشـكل مجلس الآلهـة على وفـق مـا جـاء في الأسـاطير نظامـاً كامل التركيب وكان فيه لكـل إلـهٍ دور محـدد لا يسـتبدل, ولـذلك فإن الآلهة تـترتب ترتيبـاً تصـاعدياً حسـب أهميتهـا وقـدرتها, كمـا تكون العلاقة فيما بينها تبعاً للمركز الذي يحتله كل منهـا, ومكانـة كل إله تتوقف على مدى تأثير هذا المظهر الذي يرتبـط الإلـه بـه في حياة المجتمع, وهذا يعني أن عملية التصنيف اللاهوتي للقـوى والفعاليات غير المنظورة الكامنة خلـف الظـواهر كـانت تتم بعـد الملاحظة وتكرار الملاحظة على وفق المبدأ الذي يصـف قـوانين الطبيعة, أي أن العلاقة الإنسانية مع الطبيعة هي التي تحـدد هـذه الأهمية[3]. وتدل قائمة الآلهة من مدينة (فارة) على وجـود مجمـع إلهي عــام لجميـع بلاد سـومر, وقـد وضـعت وصـنفت من قبـل السومريين وإن معرفتنا الأولى بها تعـود إلى عصـر الوركـاء, وتم العثـور على نسـخ منهـا في مـدينتي (أور والوركـاء), وتضـمنت القائمـة عـدد كبـير من الآلهـة شـملت مـا يقـرب من 3000 إلى 4000 إله, وهذه القائمة مرتبـة حسـب أهميـة كـل إلـه وقيمته[4].

وتتبع قوائم الآلهة التقليد نفسه في مختلف الفـترات وحـتى الفـترات اللاحقة لعصر فجر السلالات, إذ إن عـدداً كبـيراً من الآلهـة يحمـل أسماء سومرية, إذ أن الأسـماء أخـذت بصـيغتها السـومرية وحـتى تنظيم الآلهة في تسلسلها العام انتقل من السـومريين في جنـوب

[1] فرانكفورت, هنري وآخرون. 1960, ص, 158.

[2] AHW, puhrum, p. 810.

[3] الحوراني, يوسف. البنية الذهنية في الشرق المتوسطي القديم, بيروت, 1978, ص, 181.؛ وكذلك ينظر: بوتيرو, جين. 1990, ص, 190.

[4] Jacobsen, Th., TITC, p. 20.

وحول القائمة ينظر:

Lambart, W.G., Gotter Listen, RLA, 3, Berlin, 1969, p. 443 ff.

بلاد الرافدين إلى الأقوام الأخرى[1] ومما تقدم نجد أن مجلس الآلهة في بلاد الرافدين هو أنجاز عقلي للكهنة ورجال الدين السومريين ويعود إلى حوالي 2500 ق.م[2].
وقد ورد في الأساطير وجود مجموعة من الآلهة أطلق عليها تسمية (الآلهة العظام), وربما كانت هذه تمثل الآلهة الكبار وعددهم خمسون إلهاً, كانوا يتميزون بعمق التفكير والمعرفة والإدراك إلى جانب مجموعة أخرى بلغ عدد الآلهة فيها سبعة, فقد جاء في أسطورة إنليل:
(بينما كان إنليل في كيور, أمسكت به الآلهة العظام, الآلهة الخمسون, والآلهة التي تقرر المصير, الآلهة السبعة)[3]. ويعتقد بأن الآلهة الخمسون ربما يمثلون الآلهة التي عرفت باسم (الأنوناكي), ومعبد الخمسين الذي شيده كوديا أمير لجش هو تمجيد لهم[4].
ونظراً إلى كثرة الأسماء التي ورد ذكرها في قائمة الآلهة والأساطير, تميزت مجموعتين من الآلهة سميت المجموعة الأولى (مجموعة التثليث الأولى) وتضم ثلاثة آلهة هم (آن- إنليل- إنكي) والمجموعة الثانية (مجموعة التثليث الثانية) وتضم أيضاً ثلاثة آلهة هم (ننا- أوتو- إنانا), وذلك لأن هذه الآلهة شغلت مكاناً بارزاً في قوائم الآلهة ولعبت دوراً بارزاً في الأساطير السومرية[5].

المجموعة الأولى: (آن- إنليل- إنكي):
1. **آن (آنو):**
يمثل هذا الإله القوة الخارقة في السماء, وبما أن السماء فوق كل شئ, لذا أحتل المكانة الأعلى بين الآلهة لأنه يمثل أهم قوة في الكون فقد يشعر الإنسان عندما ينظر إلى السماء التي تحيط به من كل جانب شعور خاص تجاه السماء يوحي بالرهبة والقدسية[6]. إن هذه السلطة المطلقة للسماء تجسدت في الإله (آن), إذ تشير إليه النصوص المسمارية على أنه مصدر كل السلطات والأوامر الرسمية, وأنه صاحب الشخصية المسيطرة

---
1 Kramer, S. N., Akkadian Interconnection Religions Ideas, RA, Vol. VIII, 1960, p. 213.
2 Op. cit, p. 283.
3 فرانكفورت, هنري, وآخرون.1960, ص, 180.
4 Lieck, G. A., Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, DANEM, London and New York, 1992, p. 8.
5 Ibid.
6 فرانكفورت, هنري, وآخرون. 1960, ص, 160- 161.

في مجمع الآلهة, وكان أسمه يتصدر جميع قوائم الآلهة[1]. والإله (آن) هو أبن الإله (أنشار) والإلهة (كيشار), والذين ورد ذكرهما في قصة الخليقة البابلية[2].
وقد وردت أشارة في أحد النصوص المسمارية الثنائية اللغة إلى سلطة الإله (آن) المطلقة والواسعة جاء فيه:
(ما تأمر به ينفذ, وما قول السيد والأمير إلا ما تأمر به, وما توافق عليه, يا آنو كلمتك هي الكلمة العليا, من يستطيع أن يقول لا, يا أب الآلهة, إن أمرك أساس السماء والأرض)[3]. وعُدّ الإله (آن) مصدراً للخير والشر, وذلك لاحتضانه العوامل الجوية التي تؤثر سلباً وإيجابا, غير أن الإله (آن) في الأساطير السومرية لم يلعب دوراً مهماً في تقرير شؤون الأرض, ما عدا أشارات عرضية في بعض الأساطير [4].

1.إنليل:

يمثل هذا الإله ثاني القوى العظمى في الكون ولا يعلوه في المرتبة إلا الإله (آن)[5].
ويتكون أسم هذا الإله من مقطعين الأول (en) ويعني كما ذكرت سابقاً (السيد), والمقطع الثاني (lil) ويعني (الهواء), فيكون معنى أسمه (سيد الهواء)[6]. ولهذا الإله لقب آخر هو (ku r- gal) والذي يعني(الجبل العظيم), والإله (إنليل) يعدّ الابن الأول للإله (آنو), إذ يذكر في النصوص على أنه يترأس معه الاجتماع الإلهي الذي كان يعقد في مدينة (نفر), ويوصف كونه مالك كل الأراضي ولذلك فقد تم منحه الملوكية والسيادة وعلى هذا الأساس كان مع الإله (آن) يمثلان القوتين الأساسيتين في كل مدينة, ويملكان السلطة والقوة المشروعة[7] ولهذا الإله ألقاب عديدة منها (ab- ba dingir- re- ne) والذي يعني (أب الآلهة), و لقب ملك

---
[1] Deimel, A., Pantheon Babylonicum, Rome, 1914, p. 19.
[2] Grave, R., Larousse Encyclopedia of Mythology, London, 1960, p. 67.
[3] Hallo, W. W., the Excavation of Inanna, New Haven, 1963, pp. 14- 35.
[4] الأحمد, سامي سعيد. المعتقدات الدينية في العراق القديم, بغداد, 1988, ص, 20.
[5] فرانكفورت, هنري, وآخرون.1960, ص, 114.
[6] Budge, E. A., Babylonian life and History, London, 1925, p. 213.
[7] Jacobsen, Th., TITC, p. 31.

البلدان والمبجل[1] وقـد وردت عن هـذا الإلـه أسـاطير عديـدة منهـا أسـطورة (إنليـل وننليـل)[2]. وأسـطورة (خلـق الفـأس)[3]. وعلى الرغم من كون الإله (إنليل) هو إله مدينـة نفـر والـتي يقـع فيهـا معبده الرئيس, إلا أنه كان يمثـل الإلـه القـومي لبلاد سـومر, وأن السيطرة على جميع بلاد سـومر من قبـل حـاكم أي مدينـة كـان يعتمد على اعتراف الإله (إنليل) به, وكان الملوك يعدّون ممثلين أو نواباً عنه على الأرض تعلن أسماؤهم منه وبمباركته والاعتراف بهم[4].

---

[1] Leick, G. A., DANEM, 1992, p. 46.

7[2] حـول الأسـطورة ينظـر: كريمـر, صـموئيل نـوح. الأسـاطير السـومرية, ترجمة: يوسف داود عبد القادر, بغداد, 1971, ص, 70- 74.

8[3] حول الأسطورة ينظر: كريمر, صموئيل نوح. 1973, ص, 194- 196.

[4] Grave, R., 1960, p. 53.

3. إنكي:

ويعـد الإلـه (إنكي) الإلـه الثـالث في المكانـة بعـد الإلهين (آنـو- إنليـل), ويتكـون أسـمه من مقطعين الأول (en) ويعـني (سـيد) والثـــاني (ki) ويعـــني (الأرض) فيكـــون معـــنى أســـمه (ســـيد الأرض)[1]. و(إنكي) هي التســمية البابليــة, والتســمية الســومرية هي (أيا)[2]. ويتكون من مقطعين الأول (E) والثاني (a) فيكون معـنى أسمه السومري هو (بيت الماء)[3]. وقد ورد أسم الإله (إنكي) في قائمة آلهة (شـروباك _ فـارة), وكشـف عن بقايـا أقـدم معبـد يعود له في مدينة (أريدو) وتعود أقدم طبقاته إلى الألـف الرابـع ق.م[4]. وينسب إلى الإلـه (إنكي) صـفة الـذكاء والحكمـة والمعرفـة, وذلك نظراً لأن المياه العذبة التي تعد مانحة الحياة والـتي اعتـبرت أحد الأوجه التي تمثل الإله (إنكي) والمياه وما تملكـه من قـوة هي ليست ثابتة فهي تفيض مرة وتتناقص مرة وتسلك طرقاً مختلفة متجاوزة ما يعيقها من عقبات[5].

وتعكس الأساطير السومرية مكانـة هـذا الإلـه في الفكـر الـديني القــديم في بلاد الرافــدين منهــا أســطورة (إنكي ننخورســاك)[6]. ودوره البارز في أسـطورة (رحلـة إنانـا إلى أريـدو) والـتي صـور فيها وهو يمتلك كل مظاهر الحضارة (me), ولذلك فالإلـه (إنكي) هو المصدر والمنظم لها[7].

ويعـدّ الإلـه (إنكي) الإلـه الـرئيس لمدينـة (أريـدو), وفيهـا يقـع معبده الذي يسمى (E- abzu) , وله معابد أخرى في مدن مثل (الوركاء- أور- نفر- لارسة ومدن أخرى), أما عن أصل الإلـه (إنكي), فـإن أسـطورة الخليقة البابليـة ترجعـه إلى الإلـه (آنـو) وأسـم زوجتـه (دامنكـا) وأبرز أبنائه (مردوخ بطل قصة الخليقة البابلية, ونانشة)[8].

مجموعة التثليث الثانية (ننا, أوتو, إنانا):

4. ننا :

---

1 Lieck, G. A., DANEM, 1992, p. 46.

2 السواح, فرا س. مغـامرة العقـل الأولى, دار الحكمـة, بـيروت, 1985, ص, 189.

3 Budge, E. A., 1925, p. 34.

4 Jacobsen, Th., TITC, p. 22.

5 فرانكفورت, هنري. 1960, ص, 171.

6 حول الأسطورة ينظر: بوتيرو, جين. 1990, ص, 182.

7 المصدر السابق. ص, 189.

8 Lieck, G. A., DANEM, 1992, p. 4.

وهو إله مدينة أور وفيها يقع معبده الرئيس, زوجته هي الإلهة (ننكال) ومن أبنائه الآهة (أوتو, إنانا, أشكور)[1]. وننا هي التسمية السومرية والتسمية الأكدية (سين) وشاعت بشكل واضح خلال العصر الأكدي واستمر في العصور اللاحقة, ودخلت هذه التسمية في تركيب الأسماء الشخصية, ومن ذلك أسماء ملوك سلالة أور الثالثة منهم (أمار سين, شو سين, آبي سين), ويكتب اسمه (Nanna) بالعلامة المسمارية (Ses- ki), وذلك ربما يعود لارتباطه بمدينة (أور) (Ses- ab- ki)[2]. والرأي الآخر يقول أن (Ses- ki) تعني (أخو الأرض), وقد استعملت للدلالة على إله القمر, لأنه كان يمثل أكبر الأجرام السماوية وأقربها إلى الأرض[3]. ويعتبر (ننا) المولود الأول للإله (إنليل, وزوجته ننليل), وذلك على وفق ما جاء في أسطورة (إنليل وننليل)[4].

5. أوتو:

عرف الإله (أوتو) بالأسمين (أوتو, بابا), وكتب بالعلامة المسمارية (ud) والتي تعني (ساطع, لامع, مشع, مشرق) لأنه يمثل ضوء النهار الذي يضئ ظلمات الكون, وتعبر عن اليوم, والإله (أوتو) هو أحد أبناء الإله (ننا)[5]. وتبرز أهمية الإله (أوتو) من خلال الأساطير ومنها دوره في أسطورة (إنكي وتنظيم الكون)[6]. وكان يرمز للإله (أوتو) برأس الثور, وإذا ما صور بهيأة شكل بشري فان طابعه الشمسي يمثل عن طريق الأشعة الصادرة من جسمه[7]. و(أوتو) هي التسمية السومرية والتسمية الأكدية (شمش)[8]. ومركز عبادة هذا الإله في مدينة (سبار), وعرف معبده باسم (E- babbar), ويعني (بيت الضياء), هذا بالإضافة إلى معابد أخرى في مدن مثل معبده في مدينة

---

[1] Op. cit. p. 126.

[2] Lieck, G. A., DANEM, 1992, p. 125.

[3] الهيتي, قصي منصور. عبادة الإله سين في حضارة بلاد وادي الرافدين, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الآثار, 1994, ص, 1.

[4] Behrens, H., Enlil und Ninlil, Rome, 1978, pp. 213- 278.

[5] يونس, عبد الرحمن عبد المالك. عبادة الإله شمش في حضارة بلاد وادي الرافدين, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الآثار, 1975, ص, 13.

[6] بوتيرو, جين. 1990, ص, 291.

[7] Jacobsen, Th., TITC, p. 26.

[8] Lieck, G. A., 1992, p. 148.

(لارسـا)[1]. وقـد ورد ذكـره مـع الإلــه (أدد) في نصـوص الفـأل والعرافة, وذلك لعدّه الإله الذي لا يخفى عنه شئ[2].

6. إنانا:

احتلت الإلهـة (إنانـا) مكانـة كبـيرة في الديانـة السـومرية, وان مكانتها البارزة ظهرت بشكل واضح في قائمـة الآلهـة السـومرية من مدينة (شروباك، فارة), ويأتي تسلسلها في المرتبـة الثالثـة بعد الإلهين (آنو وإنليل), وقبل الإله (إنكي), ويكتب أسـم الإلهـة (إنانا) بالمقاطع (Nin- an- na) ويعني أسمها (سيدة السماء) [3]. وتقابـل الإلهـة (إنانـا) في السـومرية الإلهـة (عشـتار) في الأكدية, وقد عرفت كإلهـة للحب والجمـال والجنس, وقـد وردت عنهـا أساطير عديدة منهـا (إنانـا وإنكي)[4]. وأسـطورة (نـزول إنانـا إلى العالم السفلي)[5]. وتصور إنانا في بعض النصوص كإلهة للعواصف الرعديـة والمطـر, ومن أهم رموزهـا الـتي تصـورها واقفـة فـوق أسد[6]. ولقبت بألقاب أخرى منها (سيدة نواميس السماء), وذلك بعد أن وهبها الإله (إنليل) أسمه وقوته, فأصبحت ملكـة الكـون وتجمـع في شخصـيتها كـل القـوى العليا[7].

الموت وعالم ما بعد الموت:

يشغل الموت وعالم الأموات جانباً مهماً من تفكـير الإنسـان, لأنه يعالج مشكلة أساسية من مشاكل الوجود, وقد بذل الإنسـان المعاصر جهوداً كبيرة من أجل كشـف أسـرار المـوت متخـذاً من النظريات العلمية والفلسفية والتفسيرات البيولوجية ما يسـاعده في ذلك, والمـوت هـو النهايـة الطبيعيـة الحتميـة الـتي لا بـد وأن تنتهي إليها عملية النضـج الـبيولوجي, ولا نسـتطيع أن نجـد معـنى للموت ما لم نجد معنى للحياة[8].

---

[8][1] يونس, عبد الرحمن عبد المالك. 1975, ص, 118.
[9][2] لابات, رينيه. 1988, ص, 320.
[3] Gelb, I. J., The Name of goddess Inniu, JNES, 19, 1960, p. 72- 79.
[1]1[4] كريمر, صموئيل نوح. 1971, ص, 107- 113.
[1][5] كريمر, صموئيل نوح. 1971, ص, 131- 147 .
[6] Jacobsen, Th., The Treasures of Darkness, A History of Mesopotamian Religion, London, 1976, TD, p. 136.
[7] Op. cit. p. 137.
[4][8] منصور, محمد جعفر. الموت والمغامرة الروحية من الأسطورة إلى علم الروح الحديث, دمشق, 1987, ص, 23.

ونجـد في فكـر بلاد الرافـدين صـدى للمـوت وعـالم الأمـوات , ويتجسد ذلك بصورة أساسـية في الأسـاطير ونخص بالـذكر منهـا (ملحمة جلجامش) و(جلجامش وأرض الأحياء), والتي تصور قلق الإنسان وخوفه من الموت وكيف أنه بدأ بالبحث عن الخلـود بعـد أن أمتلأ قلبه حزناً على موت صديقه (أنكيدو), وقام برحلتـه إلى أرض الأحيـاء وهـو مشـتت الأفكـار خوفـاً من المصـير المحتـوم ونجده يخاطب الإله أوتو قائلاً:(يا أوتـو كلمـة أود أن أقولهـا لـك, فأصـغ لكلمـتي, في مـدينتي يمـوت الرجـل وهـو حـزين القلب, والرجـل يهلـك والقلب مثقـل بـالهموم, لقـد أمعنت النظـر فـوق السور, غرائب الأجداث عائمة فوق مياه النهـر, أمـا بالنسـبة لي, فإني سأعامل بمثل هذا, وهذا هو ما سيقع بالتأكيد, فمهمـا طـال الرجل لا يستطيع بلوغ السماء, ومهما عـرض الرجـل لا يسـتطيع تغطية الأرض, وما دام مصيري المحتوم لم يأتي بعد, فـإني أريـد أن أدخل أرض الأحياء وأقيم فيها أسمي)[1].

وهـذه القضـية (قضـية المـوت) الـتي شـغلت البطـل السـومري (جلجامش) أصبحت موضوعا خصبا تداولتـه الأجيـال في العصـور اللاحقـة, ومن ذلـك الحـوار البـابلي بين العبـد وسـيده ينتهي إلى التسليم بأن الحياة هي من دون معنى, وإن الحكمة الحقيقية هي العــودة إلى اليقين الوحيــد وهــو المــوت[2]. وكــذلك في ملحمــة جلجامش التي تطرح حقيقة المـوت بعـدّه قضـية إنسـانية عامـة, وقد جسدت الصراع بين الموت وبين تشبث الإنسان بالحياة حتى ولو كان الذي سيموت هو جلجامش الذي ثلثاه إلـه وثلثـه البـاقي من البشر[3].

وتعكس إيمان سكان بلاد الرافدين بأن الإنسان مهما بلغت قوتـه فأنه سوف يلاقي حتفه عاجلاً أو آجلاً, وأن الخلود غير ممكن أبـداً إلا للآلهة, ومن ذلك نجد أن القصص والأساطير مهما اختلفت في تفاصيلها فأنهـا تتفـق في نقطـة جوهريـة واحـدة, هي أن المـوت حقيقة وهو مصير كل إنسان وأنه لا مجال إلى تغييره[4].

---

[1] Kramer, S. N., Gilgamesh and the Land of living, JCS, 1, 1943, p. 3- 46.

[6][2] حبي, يوسف. الخلود في تراث وادي الرافـدين والفكـر المعاصر,مجلـة آفاق عربية, 1984, ص, 106.

[1][3] باقر, طه. مقدمة في أدب وادي الرافدين, بغداد, 1976, ص, 203.

[2][4] علي, فاضل عبد الواحد. الموت والعالم السفلي, مجلة ما بين النهرين, العدد. 27, 1979, ص, 232.

أما الخلود فهو نقيض الموت والذي يعني الوجـود الـدائم الـذي لا يتأثر بالزمن والمقصور فقط على الآلهـة, وعلى الـرغم من ذلـك فإن هنـاك أشـارات عديـدة إلى تعـرض بعض الآلهـة إلى المـوت ومنهم الإله (دموزي), وهو الإلـه الـراعي. وبحسـب مـا جـاء في (ملحمة جلجامش) فأن الموت قد قدر على البشر منـذ البـدء إذ جـــاء عن لســـان صـــاحبة الحانـــة (ســـيدوري) وهي تخـــاطب (جلجامش):

(إلى أين تسعى يا جلجامش, إن الحياة التي تبغي لن تجد, حينما خلقت الآلهة العظام البشر, قدرت الموت على ا لبشرية)[1].

ومن أهم ما عثر عليه خلال التنقيبات هو المقبرة الجماعيـة الـتي تم الكشف عنها في موقـع مدينـة أور من قبـل المنقب (ليونـارد وولي) في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الماضي وقد أرجع تاريخ هذه المقبرة إلى عصر فجر السلالات الثالث وقد سميت بالمقبرة الملكية نظراً لكـون الأشـخاص المـدفونين فيهـا لهم صفة الملوكية وقـد أمكن تعـيين أسـماء بعضـهم منهـا القـبر العائد إلى (مس- كلام- دك) و (آ- كلام- دك) وكان مجموع مـا خصص بكونها قبوراً ملكية لا يقل عن سـتة عشـر قـبر[2]. أمـا عن الآراء التي طرحت من أجل تفسـير مـا وجـد في القبـور الملكيـة والغرض أو الغاية من الشعائر التي تم بموجبها دفن تلـك الأعـداد الكبيرة من الحاشية والأتبـاع, ومن تلـك الآراء رأي المنقب الـذي أكتشف المقبرة وهو السير ليونارد وولي ويتلخص هذا الـرأي في أن ما عـثر عليـه في المقـبرة الملكيـة في أور مـا هـو إلا نمـوذج للتضحية بأتباع وحاشية الملك ودفنهم مع الملـك حين وفاتـه, أمـا عن الطريقة التي تتم بها هذه التضـحية فيمكن إيجازهـا بأنـه بعـد وفاة الملك وإنـزال جثتـه إلى قـبره يـنزل معـه أتباعـه وحاشـيته ويسـتقرون على الأرض أو على رفـوف موضـوعة على الجـدران وبعـد أن يقتلـوا الحيوانـات الموجـودة معهم في القـبر يبـدءون بتناول السم من قدر ممتلئ به كالقدر الـذي تم العثـور عليـه في القــبر المــرقم (1273) وفي هــذه الأثنــاء يكــون الموســيقيين يعزفـون ومن المحتمـل أن تكـون هنـاك تـرانيم جنائزيـة خاصـة يرددها المضحى بهم, وحين يسري أثر السـم يضـطجعون كلاً في مكانه ثم يـدخل احـد الأشـخاص ويـرتب الجثث ومحتوياتهـا لتبـدأ عملية ردم الحفرة بمراحل متعـددة وضـمن احتفـال ديـني خـاص

---

[3][1] باقر, طه. ملحمة جلجامش, بغداد, 1980, ص, 115.

[2] حول القبور وأهم موجوداتها ينظر: حنون, نائل. عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الآثار, 1975, ص, 246- 250.

بالمناسبة, وأرجع وولي سبب دفن أتباع الملك معه إلى اعتبار أن الملك إلهاً وأنه حين يموت ينبغي أن يدفن معه أتباعه لينتقلوا معه إلى العالم الآخر حيث يواصل حياته الأخرى فيه[1].
أما التفسير الآخر الذي يعتمد على ما قدمه الباحث (أنطون مورتكات) وأيده في الرأي باحثين عدة, أن التضحية البشرية في هذه المقبرة هي جزء من الاحتفالات الخاصة بالزواج المقدس الذي كان يقام سنوياً ويلعب فيه الملك دور الإله(تموز) في حين تقوم الكاهنة العليا بدور الإلهة (إنانا) ثم يسمان مع أتباعهما ويدفنان في احتفال ديني وأن جسد الملك كان يخرج من سقف الضريح بينما تبقى القرينة في ذلك الزواج في قبرها, والواقع أن هذا الافتراض أو التفسير للمقبرة ضعيف ويفتقر إلى أدلة أكثر وضوحاً[2].
أما الموت في عقيدة السومريين هل يعني الفناء المطلق؟
إن الموت في عقيدة السومريين لا يعني الفناء المطلق وإنما هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسد, ولذلك فإن الموت بالنسبة إليه يمثل الانتقال من مرحلة الوجود إلى عالم الأموات, أي انه لا يعدّ الموت تلاشياً نهائياً, لذلك فإن الميت في اعتقادهم يتكون من جزأين أحدهما مادي متقلص خاضع للتآكل بشكل مستمر وهو الجسد, والآخر أثيري أطلق عليه في السومرية كلمة (Gidim) ويقابلها في الأكدية (etemmu), والتي تعني(شبح الموت أو روحه أو خياله)[3].
أما عن التسمية التي أطلقت على العالم الأسفل فهي (Kur), التي استخدمت أيضاً للدلالة على البلاد الأجنبية وعلى الجبل[4].
ومن خلال الأساطير ومنها كما ذكرت ملحمة جلجامش وجلجامش وأرض الأحياء ورحلة إنانا إلى العالم الأسفل, نستطيع أن نحدد بعض التفاصيل والنقاط المهمة عن العام الأسفل:
1.وجود بوابات تؤدي إلى العالم السفلي, ومنها البوابة الموجودة في مدينة الوركاء والتي سقطت من خلالها آلتان تعودان إلى جلجامش, وعدد هذه البوابات على وفق ما ورد في أسطورة (نزول إنانا إلى العالم السفلي) هي سبع بوابات, وعلى كل بوابة يوجد عليها حراس, وكان على الداخلين إلى العام السفلي أن

---

[1]. حنون, نائل. 1975, ص, 251.؛ وحول رأي وولي ينظر:
Woolly, L., Ur of the Chaldees, New York, 1965, p. 60 ff
[2] حول هذا الرأي ينظر: حنون, نائل. 1975, ص, 252- 254.
[3] علي, فاضل عبد الواحد. 1979, ص, 232.
[4] كريمر, صموئيل نوح. 1971, ص, 122.

يكونوا عراة حيث كان الميت يخلع جزء مما يرتديه عند كل بوابة قبل أن يجتازها[1].

2. وجود محرمات للعالم السفلي والتي يطلق عليها (تابو، وتطلق على المحرمات بصفة عامة) والتي تضم أحكاماً وقواعد يعمل بها خلال فترات الحداد, وإن هذه الأحكام لا ترتبط بحالة فردية للموت أو تختص باحتفال موسمي بل يشترك بها جميع الناس[2].

3. وصف العلاقة ما بين عالم الأحياء الموات, إذ نجد فيها تأثيراً على مراسيم الدفن, وضرورة تقديم القرابين إلى أرواح الأموات, وكيف أن الفرد كان يعامل بعد أن يموت بعدد ما أنجب من أولاد, أي أن المصير الخاص بأرواح الموتى كان يتوقف على مقدار العناية التي يكرسها الأحياء لهم في قبورهم[3].

4. وجود آلهة حاكمة للعالم الأسفل وهم الإلهة (أيرشيكَيكَال) وزوجها الإله
(نركال), و(أيرشيكَيجكَال) هي أخت الإلهة (إنانا), ومن حكام العالم الأسفل أيضاً الآلهة السبعة الذين يطلق عليهم تسمية (الأنوناكي)[4].

5. وجود نهر على الموتى أن يجتازوه, أطلق عليه في السومرية (I- lu- ru- gu) وبالأكدية (Hutur), إلى جانب وجود ملاح لنقل الأموات إلى مصيرهم[5].

أما عن مصير الأموات وكيف كانوا يعاقبون أو يثابون على أعمالهم فقد ورد في النصوص المسمارية إشارة إلى أن الإنسان كان يحاسب على أعماله في هذه الحياة وليس بعد الموت, وذلك لأن الموت بحد ذاته كان يعدّ شر يمثل في قسوته أشد من كل عقاب, بل هو يمثل العقاب الأكبر[6]. لذلك كان الإنسان في بلاد الرافدين يسعى في حياته إلى أرضاء الآلهة

---

[1] Koeford, A., Gilgamesh, Enkidu and the Nether World, ASJ- 5, 1983, p.18- 22.

وكذلك ينظر: باقر, طه. 1976, ص, 249.؛ وكذلك ينظر: علي, فاضل عبد الواحد. سومر, أسطورة وملحمة, بغداد, 1997, ص, 103- 109.

[2] كريمر, صموئيل نوح. 1973, ص, 279.؛ وكذلك ينظر:
Koeford, A., 1983, p. 20.

[3] كريمر, صموئييل نوح. 1971, ص, 62.؛ وكذلك ينظر: علي, فاضل عبد الواحد. 1979, ص, 234.

[4] باقر, طه. 1976, ص, 117- 118.

[5] كريمر, صموئيل نوح. 1971, ص, 70- 74.

[6] فرانكفورت, هنري. 1960, ص, 226.

ليحصل منها على أفضل حياة ممكنة في الدنيا, لذلك كانت الحياة الدنيوية تمثل أعظم أمنية في فكر سكان بلاد الرافدين, لذلك قام الملوك السومريون ببناء المعابد للآلهة وحرصوا على تزيينها وتقديم الهدايا والقرابين لها, وما فعلوا ذلك إلاّ من أجل الحصول على حياة طويلة الأمد والتمتع بها[1]. ومن الممكن ملاحظة ذلك من خلال قراءة الأدعية والتمنيات التي كان يطلبها الملوك والأمراء بعد الانتهاء من سرد أعمالهم الحربية أو العمرانية التي كانت بأجمعها تطلب التوسع في الملك والسلطة والذرية الكثيرة وطول الحياة[2].

دور المعبد كمؤسسة دينية واقتصادية:

إن المعبد كان يحتل مكانة وأهمية كبيرة في حياة سكان بلاد الرافدين, لأنه كان يمثل موضعاً مقدساً, وأكتسب قدسيته كونه موضعاً لسكن الآلهة و مركز عبادتها[3].

ولم تقدم التنقيبات الأثرية الشئ الكثير عن المعابد الأولى ومخططاتها, وقد أختلف الباحثون في تفسير مدلولات بعض المباني التي تم الكشف عنها في مواقع مختلفة تعود إلى العصر الحجري الحديث إن كانت تمثل أقدم أشكال المباني الدينية والشعائرية أم أنها مجرد مباني سكنية, ومن ذلك بعض المباني من موقع نمريك, ومن موقع تل يارم تبة (1), ومن عصر حسونة ومن عصر حلف من موقع تل الصوان, أما عن أول المعابد التي تم الكشف عنها وشخصّت على أنها مباني دينية فتعود إلى عصر العبيد في الألف الخامس ق.م من موقع أريدو, إذ تم الكشف عن (17) طبقة سكنية متتابعة, بنيت الواحدة على أنقاض الأخرى, وأقدم طبقة كما ذكرت تعود إلى عصر العبيد[4].

وكان تخطيط المعبد في بادئ الأمر بسيطاً حيث كان عبارة عن بناية تتألف من غرفة واحدة وكانت ملائمة مع المستوى الفكري للمجتمع في تلك المرحلة من تاريخ بلاد الرافدين, ولكن مع نمو

---

[1] شمار, جورج بوييه. المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية, ترجمة, سليم الصويص, بغداد, 1981, ص, 293.

[2] بوتيرو, جين. 1990, ص, 240.

[3] باقر, طه. معابد العراق القديم, مجلة سومر,العدد. 3, 1947, ص, 12.

[4] Frankfort, H., the Art and Architecture on Ancient Orient, London, 1963, p. 2- 3.

المجتمع وتطوره تبع ذلك نمو في بناء المعبد فتوسع حجمه وزادت مرافقه البنائية وذلك بعد أن احتل مكانة كبيرة بصفته مؤسسة دينية واجتماعية واقتصادية, حيث أن بعض مرافق المعبد كانت غير مخصصة لأداء الطقوس الدينية بل لإغراض دنيوية حيث كانت مخزن لموارد اقتصادية وزراعية, وأصبحت هناك هيئات مشرفة على المعبد تتألف من أصناف متعددة من أشخاص سموا (الكهنة)[1].

وفي عصر فجر السلالات كان في كل دويلة مدينة معبد لإلهها الرئيسي ومعابد أخرى لآلهة قومية, وأصبح المعبد يمثل أبرز ظاهرة في دويلة المدينة[2]. وأصبح للكاهن الأعلى للمعبد مكانة رفيعة, ووصل بعضهم إلى رأس السلطة مثل (أوروانمكينا), في حين أن بعض الملوك تولوا مسؤولية كونهم الكاهن الأعلى للمعبد أي أنهم جمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية ويقومون بتمثيل الآلهة في المناسبات الدينية, وكونهم مختارين من قبل الآلهة وكل ذلك لإضفاء قدسية وشرعية على

المبحث الرابع: الجيش والسلاح في عصر فجر السلالات:

يحتل الجيش والسلاح مكان الصدارة في تاريخ جميع الدول قديماً وحديثاً, فالجيش سورها المنيع الذي يحميها من أي اعتداء ويصد عنها أي خطر خارجي ويوفر لها الأمن والاستقرار, أما عن سبب هذه الأهمية في تاريخ بلاد الرافدين وحرص دويلات المدن في عصر فجر السلالات على الجيش والتسلح فيعود ذلك إلى الطبيعة الجغرافية لبلاد الرافدين فهي أرض معطاء تتوفر فيها المياه العذبة والأراضي الخصبة الفسيحة, ولهذا السبب قامت فيها أقدم المراكز الحضارية التي عرفها الإنسان , كما أنها في الوقت نفسه أرض مفتوحة أمام الأقوام الأخرى ومنها الأقوام الجبلية التي كانت تغطي الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من بلاد سومر وأكد, ولهذا السبب كانت معرضة للغزو والهجوم وعلى مر العصور متى ما ضعفت قدراتها العسكرية وسلطاتها

---

[1] مهدي, علي محمد. دور المعبد في المجتمع العراقي القديم حتى نهاية دور الوركاء, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, كلية الآداب, قسم الآثار, 1975, ص, 103.

[2] Falkenstein, A., The Sumerian Temple city, 1954, Translation by Ellils, M., California, 1975, p. 7.

[3] حول ذلك ينظر: الفصل الرابع, المبحث الأول.

المركزية, ولذلك فقد أدرك سكان بلاد الرافدين ومنذ أقدم العصور أهمية التسلح والاستعداد لأي غزو أو مطامع خارجية تتعرض لها حدودهم الخارجية, وفي عصر فجر السلالات فقد أتسم الوضع السياسي العام بوجود عدد من المدن التي كانت تحكم في المناطق المختلفة من بلاد الرافدين, وكان يعاصر بعضها البعض كلياً أو جزئياً[1].

ومن المظاهر التي رافقت نشوء المدن ابتكار وسائل مختلفة لحماية المدن والحقول الزراعية نتيجة تعاظم نفوذ وقوة السلطة الحاكمة وتطور النظم العسكرية فيها, فضلاً عن المنافسة التي كانت على أشدها بين المدن للهيمنة على مصادر المياه وعلى الأراضي الزراعية أو للتحكم بطرق المواصلات والتجارة, وابتكرت أسلحة مختلفة الأنواع والأشكال, وكشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في مدن مختلفة عن نصوص مسمارية يتطرق قسم منها إلى سرد أحداث الحروب والمنازعات التي وقعت في فترات مختلفة ومن تلك نصوص الملك انتمينا حاكم لجش الذي يورد بالتفصيل أحداث النزاع والحرب مع مدينة أوما وشرح أسباب تلك الحرب ويرد فيها تحديد الحدود بين المدينتين ورسمها مما يدل على شيوع ظاهرة الانفصال والاستقلال السياسي وتكوين سلالات حاكمة فيها, هذا مع الأخذ بعين الاعتبار دور الحرب في تعاظم نفوذ الطبقة الحاكمة والمتنفذين والأغنياء في دويلة المدينة, أي أن الحرب أصبحت عاملاً مساعداً في جمع الثروات وطريقة لكسب أيدي عاملة أضافية من العبيد والأسرى, كما ترد في نصوص أخرى الجهد والعناية من قبل الحكام في بناء الاستحكامات الدفاعية للمدن مثل الأسوار والأبراج وحفر الخنادق, ومحاولة تأمين حماية للمدينة, [2].

وكان لموقع المدينة أهمية عسكرية وسياسية واقتصادية, أي أن الموقع الجغرافي قد لعب دوراً إضافيا في تطور المدن وتوسع مدينة على حساب المدن الأخرى هذا فضلاً عن أثر البيئة, إن الموقع الجغرافي تتضح أهميته بإحاطته وتوسطه لرقعة من الأرض التي تضم عدداً من القرى الزراعية التي تعتمد عليها في تموينها وتزويدها بما تحتاج إليه من مواد وأيد عاملة أو مستوطنين جدد, هذا مع ضرورة أن تكون هناك أمكانية للاتصال والانتقال بين سكان تلك المدن عبر شبكة مواصلات برية أو نهرية, وقد كان للقنوات والجداول الكبيرة أهمية كبيرة ساهمت

---

[1] الأحمد, سامي سعيد. 1975, ص, 111.

[2] علي, فاضل عبد الواحد, سليمان, عامر. 1979, ص, 119- 124.

في ربط مدينة بأخرى, ولهذا فقد كان للموقع الجغـرافي دور في الحرب والنزاع بين المدن في محاولة كل دويلة مدينة السـيطرة على مصادر المياه وعلى الأراضـي الزراعيـة الخصـبة, فضـلاً عن السيطرة على طرق المواصلات الرئيسة والتحكم فيها[1]. كما كان اختيار الموقع المحصن طبيعياً دور مهم في تطور المدن وأتسـاع سلطتها وتعاظم قوتها, وذلك كون الموقع المحصن طبيعياً يسهل الدفاع عنه وحمايته, وفي وسط وجنوب العراق أن يكون الموقـع آمن محمي من خطـر الفيضـانات الـتي كـانت تهـدد الإنسـان باستمرار, من كل مـا تقـدم نسـتطيع من خلال مـا تقـدم معرفـة أهميـة الجيش والسـلاح في بلاد الرافـدين وفي عصـر فجـر السلالات على الرغم من أن الجيش في عصر فجر السـلالات لم يكن جيشاً نظامياً دائماً, وتحصين المدينـة أصـبح في هـذا العصـر ضرورياً وعملاً يسعى الحكام إلى عمله ويشارك فيه الجميع حيث ورد في الأمثال عن أهمية الاستحكامات (إن الأعداء لا ينصرفون من أمام مدينة تحصيناتها غير قوية)[2].

ومن خلال النصـوص المسـمارية الـتي خلفهـا سـكان بلاد الرافدين في مختلف عصورهم أهمية تلـك الاسـتحكامات وأثرهـا في البيئة الاجتماعية داخل المدن المحصنة, إذ كانت تلـك المـدن هي أكثر جذباً للسكان من المـدن الأخـرى لأنهـا كـانت تقـدم لهم غطاءً أميناً تجاه النزعة التوسعية والعـداء لـدى خصـومهم, فضـلاً عن دورها في أستباب الأمن وسيادة القانون في داخـل المدينـة, ومنذ عصر فجر السـلالات وردت أشـارات إلى اتخـاذ التحصـينات الدفاعية مثل الخنادق والأسوار حول دويلات, ومن تلك الإشارات ما ورد في نص تذكاري لحاكم لجش (إيأناتم) (أنـه حفـر خنـدقاً حدودياً, ووصفه بكونه عميقاً ويحيط بحقـول المدينـة, وكيـف أنـه أخذ عهداً من أهالي مدينة (أوما) على أن لا يعبروا هـذه الحـدود, وأنه شيد عليها سوراً ترابيـاً وأقـام فوقـه نصـباً ذات صـيغة دينيـة مقدسة)[3].

أما عن الجيش والسلاح في عصر فجر السـلالات ففضـلاً عن مـا ذكرته عن الوضع السياسي العام الذي أتسم بالصـراع والتنـافس

[1] لنتون, رالف. شجرة الحضارات, ترجمة, أحمد فخـري, ج 2, القـاهرة, بدون تاريخ, ص, 206.

[2] الأعظمي, محمـد طـه. الأسـوار والتحصـينات الدفاعيـة في العمـارة العراقية القديمة, رسالة دكتوراه غير منشورة, جامعة بغداد, كليـة الآداب, قسم الآثار, 1992, ص, 24- 34.

[3] رشـيد, فـوزي. 1988, ص, 70–ـ 72.؛ وحـول العمـارة أو التحصـينات العسكرية بشـكل مفصـل ينظـر: الفصـل الخـامس, المبحث الثـاني, أبـرز المظاهر العمارية في عصر فجر السلالات.

بين المدن ومحاولة التوسع والسيطرة على موارد المياه وطــرق النقل, كل هذا دفع بالحكـام إلى الاهتمـام بـالجيش وفي تنظيمـه وتسـليحه ويمكن أعطـاء صـورة عن ذلـك من خلال النصـوص المسمارية للحكام ومن
خلال اللقى الفنية من هذا العصر[1].
وتطلق تسـمية (الجيش) على مجموعـة من الأفـراد المسـلحين الذين يكلفون بمهمة القتـال بـراً أو بحـراً للـدفاع عن دولتهم, أي أنه يشمل جميع الـذين يحـترفون مهنـة الجنديـة ويتخـذونها عملاً ويضم أيضاً الأفـراد الـذين يكونـون تحت التـدريب[2]. ويطلـق على الجيش والقوات العسكرية في اللغة السـومرية مصـطلح (Eren mes) ويرادفها في اللغة الأكدية (ummanatu أو ummanu)[3].
ويعدّ الملك هو القائـد الأعلى للجيش فضـلاً عن مهامـه الرسـمية الأخرى, وتدل قوته وحنكته العسكرية على قوتـه وقـوة مملكتـه, وإذا ما كان ضـعيفاً فـإن مملكتـه ضـعيفة وتسـقط تحت هجمـات دويلات المدن القوية, ومن المخلفـات الفنيـة الـتي تصـور الملـك قائداً للجيش المسلة التي أطلـق عليهـا البـاحثون أسـم (مسـلة العقبان), شكل (5 أ, ب) والتي تعـود إلى (إيأنـاتم) حـاكم مدينـة (لجش), صـور فيهـا وهـو يقـود المقـاتلين ويحمـل عـدة الحـرب الممثلـة بـالرمح والسـيف, وقـد صـور بحجم أكـبر من المقـاتلين الذين يتبعونه, وفي المشهد الآخـر صـور وهـو يقـود عربـة حربيـة أمـا عن التسـميات التي أطلقت على الجنـدي فمنهـا التسـمية السومرية (Lu Erin), وفي اللغـة الأكديـة (Sabu)[5].   وفي مـا يخص أصناف الضباط وعدد الجنود الذين تحت أمرتهم في عصــر فجـر السـلالات فلا يمكن تقـديرها, ولكن الضـباط على درجـات, فقد ورد في النصوص التي تذكر حرب مدينة (الوركاء) مع مدينـة (أرتا), والتي ورد فيها ذكر للضابط من رتبة (أوكـولا- UGULA) وكـان يقـود (300) جنـدي, الضـابط من رتبـة (نوبنـدا- Nu-Banda) والـذي كـان يقـود (600) جنـدي, والضـابط من رتبـة

---

[1] سليمان, عامر. 1993, ص, 84.
[2] كاسـتلان, جـورج. تـاريخ الجيـوش, ترجمـة, دسـوقي كمـال, القـاهرة, 1956, ص, 4.
[3] AHW. Ummanu, p. 1413 b.
[4] Strommenger, E., the Art of Mesopotamia, London, 1964, p. 69.
[5] CAD. Sabu. p. 46.

(شـاكينا- Sa-Gina) كـان يقـود (25,500) جنـدي, ويعـدّ الأخـير ثاني شخصية عسكرية بعد الملك[1].
وفيمـا يخص الجنـود فقـد كـانوا على صـنفين الأول هـو الجنـدي الدائم (أيرن-Erin) والصنف الآخر (كوروش-Gurus) وهـو على ما يبدو كـان جنـدياً في أوقـات الحـرب فقـط وممارسـاً للأعمـال الزراعية أو الحرفية في أيام السلم, وإذا ما أصـيب الأخـير وفقـد القدرة على القتال فإنه يعفى من أدائها[2].
وتعد نصوص مدينة لجش مصدر مهم عن الجيش في عصر فجــر السلالات, وفي وثيقة تذكر أن معبـد مدينـة (لجش) جهـز (600 أو 500) من أتباعـــه ليخـــدموا في الجيش, وفي نص يعـــود إلى(إيأناتم) يذكر فيـه أنـه قتـل نحـو (3600) جنـدي من جيش دولة (أوما), وهذا عدد يدل على العدد الكبـير للجيش بحيث قتـل منه هذا العدد الكبـير[3]. كمـا يـرد في نص آخـر لهـذا الملـك ذكـر للجنود المرتزقة وكمـا جـاء (وعـبر الجنـود المرتزقـة من بلـدان مختلفة قناة الحدود), والذين ربما يكون حاكم (أوما) استعان بهم في حربه على (لجش)[4].
أما عن الصنوف المقاتلة فمن خلال المنحوتات والمخلفات الفنية نستطيع إعطـاء صـورة عنهم, وتعـد (مسـلة العقبـان) هي الأكـثر شهرة وأهمية[5]. والثانية هي (رايـة أور), شـكل **(6)**[6]. ونجـد فيهـا التركيز على صنفين هما صنف (المشاة) وصنف   (العربات- المركبـات), وصـنف المشـاة يمثـل الجنـود الـذين يقـاتلون على أقـدامهم أو يقـاتلون وهم راكبـون, وإن واجبـه يتمثـل في قتـال العدو والاشتباك به وتحطيم قوته الرئيسة, وصوروا وهم يمشـون بثبات وبهيأة تلقي الرعب بين صـفوف الأعـداء, و نظـام المسـير الذي يظهر من خلال منحوتة (مسلة العقبان)هو نظام الكـراديس إذ نجد احد حقول الوجه الثاني تمثل الملك في مقدمة جنده وهم يسـيرون خلفـه على شـكل مجموعـات منتظمـة و تتكـون كـل مجموعة من ستة صفوف و يضم كل منها احد عشر محارب ربما (عشر جنود و ضابط صف) و يظهرون وهم يحملون تروس وفي أيـديهم رمـاح طويلـة و يرتـدون الخـوذ الـتي تغطي رؤوسـهم و

---

[6] [1] رشـيد, فـوزي. الجيش والسـلاح في عصـر فجـر السـلالات, موسـوعة الجيش والسلاح, ج1, 1987, ص, 87- 88.
[7] [2] نفس المصدر السابق.
[1] [3] باقر, طه. 1986, ص, 341.
[2] [4] رشيد, فوزي. 1988, ص, 26.
[3] [5] مورتكات, أنطوان. 1975, ص, 147.
[4] [6] بارو, أندريه. 1977, ص, 194- 199.

يسيرون فوق جثث الأعداء المتساقطة ، ويرتدون تنوره قصيرة تغطي أسفل البدن ، وفي الحقل الثاني يظهر الملك وهو يركب مركبة حربية تحتوي على جعبة للرماح, ويمثل صنف المشاة حملة الرماح والسيوف و حملة الصولجانات و حملة السهام و النبال[1]. أما عن تصوير صنف العربات (المركبات) فيظهر بصوره واضحة في راية (أور), الحقل الأول إذ يمثل مقاتلوا المركبات وهم يوجهون رماحهم نحو صدور الأعداء ويرتدون الخوذ والملابس التي تغطي الكتف الأيمن وتترك الكتف الأيسر عارياً, وتجر العربة أربعة حيوانات, وقد يكون هذا المشهد يصور نفس العربة في لحضات متفاوتة من هجومها على الأعداء الذين تبعثرت جثثهم على الأرض, وبعد أن أدت العربة دورها في تشتيت صفوف الأعداء. يصور في الحقل الثاني جنود المشاة الذين جاء دورهم بعد صنف العربات في قتل الأعداء وأسرهم. أما الحقل الثالث فيصور الملك وقد ترجل عن عربته وخلفه حرسه وأمامه الأسرى. والوجه الثاني من راية أور والذي يتكون من ثلاثة حقول أيضاً فإنه يصور عملية جمع الغنائم والاحتفال بالنصر, وفيراية أور فإن المشاهد منفذة بطريقة التطعيم

أما عن أسلحة عصر فجر السلالات فهي:

1. الرمح والحربة:

وهي من أقدم ألأسلحة التي أستعملها إنسان العصور الحجرية على حد سواء وهو سلاح للطعن وأستخدمها للصيد والقتل, وكان سلاحاً بسيطاً من السهل أن يحصل عليه شأنه شأن قطعة الحجارة والتي كان الإنسان يلتقطها من الأرض مباشرة وقد أدخل عليها تحسينات منها تحوير النهاية وجعلها مدببة أو حادة ثم جعلها قوية بتقريبها من النار لذلك أصبح الرمح في فعاليته يشبه رأس السهم إذ أن له القدرة على اختراق الهدف[3]. ويتألف الرمح من السنان والقناة واختلفت الرماح وذلك حسب الغاية من

---

[1] Postgate, N., Early Mesopotamia, New York, 2003, p. 246, Fig. 13:1.؛ and:
Kramer, S. N., Cradle of Civilization, Time life International, Neder Land, 1967, pp. 49- 50.

[62] علي, فاضل عبد الواحد. المنجزات السياسية والحضارية في عصر فجر السلالات, مجلة المورد, 1987, ص, 23.؛ وكذلك ينظر:
Postgate, N., 2003, p. 247, fig. 13:2, a, b.

* للمزيد من المعلومات حول الصنوف الإدارية والغير المقاتلة ينظر: عباس, منى حسن. 1997, ص, 101- 119.

[13] الدباغ, تقي. السلاح في عصور ما قبل التاريخ, موسوعة الجيش والسلاح, ج1, بغداد, 1987, ص, 28- 29.

اسـتعمالها وحسـب وزنهـا وهي على أنـواع كثـيرة منهـا الرمـاح الصغيرة الحجم, والرماح القصيرة والرماح الطويلة, ويعود أقـدم دليل فني يدل على استخدام الرمح في بلاد الر افدين في مسلة حجرية أطلق عليها الباحثون اسم مسـلة (صـيد الأسـود), والـتي يعود تاريخها إلى بداية الألـف الثـالث ق.م, وتم العثـور عليهـا في موقـع مدينـة الوركـاء وهي مصـنوعة من حجـر البـازلت ويبلـغ ارتفاعها 80 سم نفذ عليها مشهدان على أحد الـوجهين بطريقـة النحت البارز, يصور أحد المشهدين رجلاً ملتحياً وهو يمسك برمح مسدداً إلى صدر أسد واثب باتجاهه الشكل رقم (7)[1].

وفي مسلة العقبان من عصر فجر السلالات نجد أن الفنان صـور الجنود في أحد المشـاهد وهم يحملـون رمـاح طويلـة ذات أسـنة شبيهة بورقة الشجر يحملونها بشكل أفقي في أثناء الهجوم على العدو بينما يرفعونها عالية على الأكتاف أثناء المسير[2].

وكشفت التنقيبات في مواقع تعود إلى عصر فجر السـلالات على رؤوس رماح ورماح, مثل موقع تـل مظهـور الـذي تم العثـور في أحد القبـور المكتشـفة على رأس رمح برونـزي[3]. وفي موقـع تـل سليمة تم العثور على نحاسيات داخل القبور تضمنت رماحاً[4].

2. الفأس:

وهي من أسلحة القتال الرئيسـة الـتي أسـتخدمها الإنسـان ومنـذ عصور ما قبل التاريخ, إذ صنعت من النحـاس والحجـارة ووصـلتنا نماذج منها تعود أقدمها إلى عصر العبيد الشمالي من موقع (تبـة كورا), ونماذج أخرى من عصر حلـف وجمـدة نصـر, وفي العصـر السومري أصبحت تصنع من الذهب والفضـة والنحـاس والـبرونز, وفي عصر فجـر السـلالات تطـورت صـناعة الفـأس وكـانت على نوعين رئيسين الأول الفأس الـتي ينتهي نصـلها بسـيلان, والثـاني الفأس التي كان لعا تجويف, كما تميز هذا الدور بظهـور نـوع من الفؤوس الغرض منها اختراق الخوذة المعدنيـة الـتي كـان الجنـود في الحروب يضعونها على رؤوسهم, وكانت هذه الفأس مصنوعة من النحاس ولها نصل طويل ضيق يتخذ شكلاً دائرياً عند الحافة[5].

[2] [1] علي, فاضـل عبـد الواحـد. 1987, ص, 23ـ-24.؛ وحـول مسـلة صـيد الأسود ينظر: مورتكات, أنطون. 1975, ص, 36.

[3] [2] علي, فاضل عبد الواحد. 1987, ص, 24.

[4] [3] كيليك, روبرت, مايكل, رووف. تـل مظهـور, مجلـة سـومر, العـدد. 35, 1979, ص, 532.

[5] [4] الجبـوري, صـلاح رميض, شـاكر, برهـان. حفريـات تـل سـليمة, مجلـة سومر, العدد. 35, 1979, ص, 420.

[1] [5] علي, فاضل عبد الواحد. 1987, ص, 24.

وتسمى الفأس (بلطة), وكانت في الغالب ذات نصلين وذات أيد طويلة أو قصيرة[1].

وقد ورد ذكر الفأس في النصوص ومن ذلك ما جـاء في ملحمـة جلجامش (أخذ الفأس بيده ليقطـع الأشـجار), كمـا صـور الفـأس على الأعمال الفنية ومنها رايـة أور من عصـر فجـر السـلالات, إذ صـور في الوجـه الأول, الحقـل الثـالث, وقـد صـور الجنـدي في المركبة الأولى وهـو يحمـل في يـده فأسـاً ذو رأس طويـل بكلتـا يديه, أما الجندي في المركبة الثالثة فقد صور وهـو يحمـل فـأس في يده اليسـرى يسـنده على كتفـه الأيسـر, شـكل (6), كمـا تم العثور على 306 فأس أثناء التنقيبات في موقع مدينة أور منها ما يعود إلى المقبرة الملكية[2].

3. القوس:

وهــو نــوع من أنــواع الأســلحة, ويســتخدم لإغــراض الصــيد والحــرب, وتشــير بعض النصــوص المســمارية إلى أن صــنف الأقواس والسهام كان موقعه في بداية الجيش لغـرض الإسـناد[3]. والقوس من الأسلحة التي عرفها إنسان العصـور الحجريـة, وقـد أحدث استخدامه تطوراً في عملية صيد الطيور والحيوانـات, كمـا صور في رسوم الكهوف من تلك الفترة ما يشـير إلى اسـتخدامه في المعارك[4].

ولم تكسف التنقيبات الأثرية في المواقع على نماذج منها, ويعــود ذلك إلى طبيعة المواد التي كان يصنع منا القـوس, إذ أنهـا كـانت تصنع من أغصان الأشجار وألواح الخشب والأوتار التي هي عبارة عن أعصــاب الحيوانــات وأمعائهــا, وكــل هــذه المــواد هي مــواد سريعة التلف[5].

ومن عصـر فجـر السـلالات لم يصـور القـوس على المنحوتـات, ولكن هنــاك دلالــة على وجــود (صــنف حملــة الأقــواس) كأحــد أصناف الجيش, ومن خلال الإشـارة إليـه في النصـوص المتعلقـة بالهرب من الجيش حيث جاء فيها (وقـد هـرب من صـنف حملـة الأقواس)[6].

---

[2][1] زكي, عبد الرحمن. 3, السلاح في الإسلام, مصر, 1951, ص, 17- 18.

[2] Woolly, C. L., Ur Excavation, the Royal cemetery, Vol. II, London, 1934, p. 305, pl. 190, 224.

[4][3] رشيد, فوزي. 1987, ص, 87.

[5][4] علي, فاضل عبد الواحد, 1987, ص, 24.

[6][5] الـدباغ, تقي. الجيش والسـلاح في عصـور مـا قبـل التـاريخ, موسـوعة الجيش والسلاح, ج1, 1987, ص, 36.

[7][6] رشيد, فوزي. 1987, ص, 87- 88.

ولكن نجد تصوير لهذا السلاح على مسلة (صيد الأسود) شكل (7), من مدينة الوركاء إذ أن المشهد السفلي يصور رجل وهو يرمي نباله على أسدين, وكان القوس من النوع البسيط وشكله نصف دائري[1].

4. الخنجر:

وهو من الأسلحة الخفيفة التي يستعملها المقاتل عند الدفاع عن نفسه عند الاشتباك القريب ولا سيما عند المباغتة والتسلل, وعرف الخنجر منذ العصور الحجرية القديمة, وهو مثل السكين أداة نصلية صنعت أساساً بطريقة التقشيط والتشضية, وصنعت من مواد مختلفة, حجر الصوان, الفضة, الذهب والألكتروم (خليط من الذهب والفضة), وكان الخنجر في البداية على هيأة ورقة الشجر وتكون حافاته من الجانبين حادة وقاطعة, ورأسه مدبب وليس له مقبض, ثم تطورت في العصور اللاحقة[2]. وفي عصر فجر السلالات لم تصور الخناجر على المنحوتات, ولكنها صورت على الأختام الاسطوانية من هذا العصر, ومن تلك طبعة ختم تصور شخصان كل واحد منهما في جهة يحاولان طعن حيوان يقف بينهما بخنجريهما[3]. كما تم العثور خلال التنقيبات الأثرية على خناجر في المواقع التي تعود إلى عصر فجر السلالات ومنها في (أور) حيث تم العثور على عدد كبير منها حوالي 171 خنجر, مصنوع البعض منها من الذهب أو الفضة أو الألكتروم, ومطعمة بالأحجار الكريمة, كما تم العثور على صندوق فيه خنجران مع ختم أسطواني عليه كتابة تعود إلى ميس- كلام- دوك[4]. كما تم الكشف عن خناجر في قبور تل أبو الصلابيخ وتعود بتاريخها إلى عصر فجر السلالات الثالث[5].

5.السيف:

وهو سلاح للهجوم يستعمل للطعن والقطع, له نصل طويل ويكون مستقيماً أو مقوساً ويتوقف شكل النصل على الغرض

---

[1] حول المسلة ينظر: مورتكات, أنطون. 1975, ص, 36.

[2] الدباغ, تقي. 1987, ص, 35.

[3] Frankfort, H., Stratified Cylinder Seals from the Diyala Region, OIP, Vol. LXXII, 1955, pl. 41, No. 436.

[4] Watkins, T., Sumerian Weapons, Warfare and Warrior, Sumer, Vol. XXXVII, 1981, p. 101.

[5] Postgate, J. N., Early Dynastic Burial Customs of Abu – Salabikh, Sumer, Vol. XXXVI, 1980, p. 73.

منــه إن كــان للقطــع أو الطعن, فالنصــل المســتقيم للطعن والمقوس يكون للقطع, وللسيف في الغالب واقية لليد[1].
أمـا عن السـيف في عصـر فجـر السـلالات فقـد كـان يصـنع من المعادن الصـلبة, وكـانت مسـتقيمة وذات حافـة مزدوجـة وحـادة وقصيرة جداً أشبه بالخنجر, ثم تطور بعد ذلك وأصبح أكـثر طـولاً والمقبض كـان يصـنع من الخشـب أو العظم ومن مـواد أخـرى, ويمكن تصور شـكل السـيف في عصـر فجـر السـلالات من خلال المنحوتات الفنية وكمـا ذكرنـا بـالأخص مسـلة العقبـان شـكل (5 ب), حيث صور الملك (إيأناتم) وهو يحمل سـيفاً يشـبه المنجـل, وفي مشهد آخر صـور وهـو في العربـة يحمـل سـيفاً رأسـه نحـو الأسفل[2]. كما صور السيف على قاعدة عمود من مدينـة (لجش) ومنفذ المشهد بالنحت البـارز أحـدهما يحمـل بيـده رمحـاً والآخـر يحمل سيفاً مقوساً مستنداً على كتفه[3].
كما تم العثور خلال التنقيبـات الأثريـة في مدينـة كيش على عـدد من السيوف تعود في تاريخها إلى عصر فجر السلالات الثاني في داخل القبور في المقبرة المعروفة بالمقبرة (**A**)[4].

6. الصولجان:

وهو من أسلحة القتال ويستخدم في تهشيم الخـوذة ولضـرب العدو عند الاشتباك القريب, ويطلق عليم أيضاً أسم (الهراوة)[5].
ويصنع رأس الصولجان من الحجارة أوالمعدن وفي أسفل الرأس يوجـد تجويـف لتثـبيت المقبض[6]. وقـد أسـتخدم الصـولجان رمـزاً للآلهة كما كان أحد شارات الملوكية التي تمنح من قبل الإلـه إلى الملك وقد ورد ذلك في نصوص كثيرة منها نص يعـود إلى أنتمينـا حــاكم (لجش) إذ جــاء فيــه (أنتمينــا, أمــير لجش, الممنــوح الصـولجان من قبـل الإلـه إنليـل .... الخ), ولـذلك كـان الملـوك ورجال الدين والمتنفذين يقومون بتقديم الصولجانات إلى المعبـد كهـدايا ثمينــة إلى مختلــف الآلهة[7]. وتم العثــور خلال التنقيبــات الأثرية في مواقع مختلفة من عصر فجر السـلالات على عـدد من

---

[1] زكي, عبد الرحمن. 1951, ص, 34.
[2] Yadin, Y., The Art of Warfare in biblical lands in the light of Archaeological Discovery, London, 1963, p. 44 - 45.
[3] علي, فاضل عبد الواحد. 1987, ص, 25.
[4] Mackay, E., A Sumerian palace and the “A” Cemetery at Kish, Mesopotamia, part, II, 1929, p. 40.
[5] الدباغ, تقي. 1987, ص, 40.
[6] علي, فاضل عبد الواحد. 1987, ص, 25.
[7] رشيد, فوزي. 1988, ص, 30.

الصـولجانات ومن تلـك العثـور على صـولجان حجـري يعـود إلى ميسيلم (ميسالم) ملـك (كيش) وذلـك في مدينـة (كرسـو, تلـو حالياً), شكل (8 أ, ب), ويحمل الصـولجان أسـم الملـك ميسـيلم ومنفذة عليه مشاهد بالنحت البارز لحيوانات على شـكل أسـود[1]. كما تم العثور في تل أجرب على رأس صولجان حجري ذي أربعة رؤوس تمثل أسودا, شكل (9)[2].

7. الشبكة:

وتستعمل لإغراض الدفاع وصد هجـوم الأعـداء عنـد اقـترابهم من القلاع وأسـوار المـدن, وكـذلك في عرقلـة هجـوم القطعـات العسكرية في المناطق السهلية والجبلية,

وقد ورد ذكـر الشـبكة في النصـوص المسـمارية من عصـر فجـر السلالات كسلاح يسـتعمل ضـد هجـوم الأعـداء كمـا ورد في نص لحاكم (لجش) (أنتمينـا) في نزاعـه مـع مدينـة (أومـا) جـاء فيـه (استنادا إلى كلمته العادلة (أي كلمة الإلـه ننكَرسـو), مـع أومـا, (في معركة) قد أشتبك, واستنادا إلى أمر الإلـه إنليـل, قـد رمى الشبكة الكبيرة عليها (أي على أوما) .... الخ)[3]. وقد صـورت الشبكة على المنحوتات كما في (مسلة العقبان), شكل (5 أ), إذ صور الإلـه ننجرسـو وهـو يحمـل الشـبكة في يـده اليسـرى وفي داخلها جنود للعدو يضربهم بهراوة في يده اليمنى[4].

8. المركبة الحربية:

وهي من الألات التي بدأت صناعتها واستخدامها في الحــرب منذ عصر فجر السلالات, إذ أن كـل مـا ذكرنـاه عن الأسـلحة قـد سـبق واسـتخدمت قبـل عصـر فجـر السـلالات, ولكن المركبـة الحربية هي أحد نتاجات عصر فجر السلالات, وقد أحـدثت تطـور مهم في سير المعارك ونتائجها[5]. والذي أدى إلى هذا التطـور هـو ما سبقه من اختراع للدولاب في عصر الوركاء, فتحولت الزحافة إلى مركبة تدريجياً, وأقدم مشـهد يمثـل مركبـة هـو مـا نفـذ على جرة فخارية من موقع خفاجي, وتعود في تاريخها إلى عصر فجـر السلالات الثاني, ويصور المشهد مركبة ذات عجلتين تجرها أربعة

---

71 مورتكات, أنطون. 1975., ص, 83.
82 المصدر السابق. ص, 86.
13 رشيد, فوزي. 1988, ص, 24.
24 مورتكات, أنطون. 1975, ص, 146.
35 علي, فاضل عبد الواحد. 1987, ص, 25.

حيوانـات[1]. كمـا تم العثـور خلال التنقيبـات الأثريـة على نمـاذج لمركبات منها ما تم العثور عليها في موقـع تـل أجـرب في معبـد شارة وهي مركبة ذات عجلتين تجرها أربعة حيوانات صفت جنبـاً إلى جنب يقودها سائق وهي مصنوعة من الـبرونز, ومن الصـعب اعتبار هـذا النمـوذج مركبـة حربيـة لأن السـائق يصـور وهـو غـير مرتدي للخوذة ولا للبزة العسـكرية, كمـا أنـه غـير محمي, وربمـا يكـون رسـولاً أو نـاقلاً شـكل (10)[2]. ومن موقـع أور عـثر على حلقة لجام مصنوعة من الألكتروم فوقهـا حيـوان الأخـدر شـكل (11)[3]. كمـا يمكن مشـاهدة المركبـة الحربيـة مصـورة على قطـع فنية من عصر فجر السلالات ومنهـا المشـاهد المنفذة على رايـة أور الوجه الأول الحقـل الثـالث إذ نشـاهد مركبـات تسـير واحـدة خلف الأخرى وتحتها جنود العدو ولكنها وكمـا ذكـرت سـابقاً ربمـا يكون مشهد لمركبة واحدة في لحظات متفاوتة كما ذكرنا سـابقاً شكل (6)[4].

وفضلاً عن ما ذكرنـاه عن أسـلحة عصـر فجـر السـلالات بقي أن نذكر تجهيزات الوقاية التي أهتم السـومريون كثـيراً في تجهيزهـا وتوفيرها لجنـودهم ومن أهم تلـك التجهـيزات (الخـوذة المعدنيـة لتغطيـة الـرأس, الـدروع لحمايـة الجسـم, الـترس اليـدوي لصـد ضربات الخصم ونبالـه), ويمكن أن نتعـرف على تلـك التجهـيزات من خلال تصويرها على القطـع والمنحوتـات الفنيـة ومنـه مسـلة العقبان شكل (5 ب), وراية أور
شكل(6), والتي كما ذكرت تعد من أهم القطع الفنية التي تصـور الجيش ونظامـه (لكن الجيش لم يكن دائميـاً) والأسـلحة المستخدمة فضلاً عن تجهيزات الوقاية في عصر فجر السلالات[5].

وخلاصـة القـول عن الجيش والسـلاح في عصـر فجـر السلالات ما يلي:

1.إن أقدم الجيوش المعروفة في بلاد الرافـدين تعـود إلى عصـر فجر السلالات, وهي تتمثل بالقوات العسكرية التي كانت تمتلكها دويلة المدينة, والتي كان الهـدف منهـا حمايـة دويلـة المدينـة من أخطار تعرضها للاعتداء والهجـوم عليهـا, غـير أنـه ينبغي علينـا أن

[1] Yadin, Y., 1963, pp. 38, 39.

[2] مورتكات, أنطوان. 1975, ص, 100.

[3] بارو, أندريه. 1977, ص, 207.

[4] المصدر السابق. ص. 196, 197 – 198.

[5] علي, فاضل عبد الواحد. 1987, ص, 26.

نــدرك أن مثــل هــذا الجيش لم يكن دائميــاً, حيث أن أول جيش نظامي دائمي كان منذ العصر الأكدي.
2. أن أقـدم الصـنوف الحربيـة المعروفـة في بلاد الرافـدين هـو صنف المشـاة المـدعوم بصـنف العربـات (المركبـات) الحربيـة, وذلك يظهر بوضوح في راية أور شكل (6).
3. كـان الأمـير أو الملـك في دويلـة المدينـة هـو القائـد الأعلى للجيش, وكان يشارك في الحرب كمـا نلاحـظ ذلـك في (مسـلة العقبـان) شـكل (5 ب), وهـذا الأمـر بقي معروفـاً في العصـور اللاحقة.
4. كان النظام المعروف بنظام الصف (الكراديس), هو أسـلوب القتال المتبع في عصر فجر السلالات, كما نلاحظ ذلك في مسلة العقبان, شكل (5 ب).
5. من خلال النصــوص المســمارية والمخلفــات الفنيــة نلاحــظ حقيقة أيمان سكان بلاد الرافدين بأن النصر كانت تحققـه الآلهـة, ونلاحظ ذلك في مسلة العقبان شكل (5 أ)[1].

---

[2][1] المصدر السابق. ص, 27.